جاسوسات عاشقات

خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

ايثيل جاي
آن بولارد

فريد الفالوجي

أطلس

مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية



جاسوسات عاشقات

هذه السلسلة

- محاولة دائبة لسبر أغوار النفوس المريضة التى تهوى بأصحابها إلى مستنقعات الخيانة.
- تحليلات مستفيضة لكل الأحداث والمواقف ، تكشف الغموض وتظهر النوايا الخفية فى كل تصرف للشخصية المعنية.
- استقصاء شامل لجميع المستندات والملفات للوصول إلى كبد الحقيقة، بعيداً عن الاجتهادات والتأويلات والافتراضات غير المثبتة بالدليل القاطع.
- عمل جاد وجهد شاق لفضح هذه الفئة الضالة من النساء التى أغواها الشيطان، وبعن وطنهن وغدرن بأهلهن.. فحل عليهن العقاب الشديد، والتصق بهن العار إلى الأبد.

ايثيل جاى و آن بولارد :

الأولى، فتاة بريطانية بعيدة كل البعد عن مقاييس الجمال فهرب منها الأزواج تعمل فى موقع مهم عسكرياً فى لندن.. فاقترب منها جاسوس روسى وقدم لها الحنان الذى تفتقده والمشاعر التى انتظرتها طويلاً.. وكان ثمن ذلك هو أن تمنحه كل الأسرار التى يسعى إليها، وباعت وطنها، مقابل متعة زائفة وحب واهم.

الثانية، سيدة أمريكية عملت مع زوجها للتجسس على بلادها لصالح الإسرائيليين وعندما انكشف أمر زوجها حاول اللجوء السياسى إلى إسرائيل ولكن أصحاب الخسة والنذالة رفضوا طلبه ، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة.

النَّاشِر





مكتبة الجاسوسية

جاسوسات عاشقات

خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

ايثيل جاى
آن بولارد

فريد الفالوجي



رئيس مجلس الإدارة
عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب
حسام حسين

مستشار النشر
أحمد جمال الدين

رقم الإيداع
١٨١١٩ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى
٩٧٧-٣٩٩-٠٤٢-٧

الطبعة الأولى

الجمع والإخراج الفنى
«مكتبة ابن سينا»
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع العبور الحديثة

الكتاب : جاسوسات عاشقات
المؤلف : فريد الفالوجى
الغلاف : للفنان إلهامى عزت
الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م
٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة
E-mail:atlas@innovations-co.com
تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠
فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

* * * *

المقدمة

إن المرأة عندما تحب بصدق.. وبكل ما لديها من عاطفة جياشة رائعة.. تمنح الحبيب دفقات متتالية من نهر الحب العظيم.. تحيل حياته إلى جنات من الصفو اللذيذ.

ويسوق لنا التاريخ حكايات عن نساء بعن الوطن من أجل الحب.. ولم يندمن وهن ينزوين بين جدران الذبول والنسيان.. أو حتى وهن معصوبات الأعين ومكبلات فى طريقهن إلى الموت فى غُرف الإعدام.

فالمرأة عندما تكتشف فجأة، أن حبيبها ما هو إلا جاسوس محترف، خدعها فى مشاعرها طوال سنوات من الحب المغشوش، ترتج حياتها كلها فى لحظة تسحب من جذور مشاعرها.. لتصل بها إلى صراع مجنون قد يدمرها تماماً.. ويكون رد فعلها عندئذ أكثر جنوناً ودهشة.

إنه صراع فتاك ليس من السهل أن تتحمله امرأة أحبت، وأعطت كل ما لديها لحبيب خائن غدار.. صراع يدفع بها إلى منعطفات حادة مهلكة أحياناً.. فهى إما أن تغمض عينيها وتمسك

أنفاسها لكى تختار الحبيب وحده.. أو تختار الوطن وبذلك تسلم حبيبها إلى الموت.

وقد ذكر لنا التاريخ أمثلة لا حصر لها، لنساء وطنيات فضلن الوطن فوق أى اعتبار.. وأسهمن بإخلاص فى المحافظة على أمنه وسلامته..

وهذه السلسلة من (جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ) تتناول سيرة بعض الجاسوسات الخائنات اللائى انصرفن عن كل مُثل فى سبيل الحب والمتعة.. وقد نبذن الشرف والفضيلة والانتماء من حياتهن.

وفى هذا الكتاب ، سوف نتعرف على قصة الفتاة البريطانية العانس الدميمة ، التى كشفت أسرارا عسكرية هامة وصلت إلى موسكو عن طريق حبيبها الذى خدعها . أما القصة الثانية ، فتناول حياة زوجة بولارد أكثر جواسيس العالم إثارة حتى الآن ، والذى ما يزال مسجونا فى الولايات المتحدة لأنه سلم أسرار بلاده لإسرائيل ..!

فريد الفالوجي

القاهرة ـ مدينة نصر

ايثيل جاى



البريطانية العانس الدميمة التى تعمل فى القاعدة البحرية الملكية. أوهمها أحدهم بأنه يحبها، فطار عقلها، وطارت بالتالى الأسرار الخطيرة إلى السوفييت. فحبيبها المزعوم كان «هارى هوتون» أشهر جواسيس موسكو فى لندن ..!!

وتحققت أحلام اليقظة

حرمت من الحب واصطخاب المشاعر بداخلها، وافتقرت كثيراً إلى علاقة صحية بصديق يتعامل معها بحنان، كأنثى. ذلك لأنها كانت تعرف، بل كانت واثقة، أنها دميمة إلى درجة مزعجة، وليس فيها ما يدعو لأن يقرب منها رجل.

إضافة إلى أن عمرها الذى كان سرق منها قد قارب السابعة والثلاثين، فجمدت لكل ذلك قسماتها المشبعة باليأس والقتامة والأسى .!

لكن ...

بدون انتظار أو توقع، ظهر فى حياتها، فجأة، هذا الرجل الذى بدا كالمنقذ لها من الموت البطىء.

إنه الفارس المغوار الذى قرر أن يخطفها من عالمها الكئيب حصانه الأبيض ، إلى عالم آخر مغاير يضج بالحبور والأحلام وحدائق الياسمين والمشاعر الفياضة.

تلك الأحاسيس الدافئة التى كانت فى مسيس الحاجة إلى إطلاقها من معاقلها ، لتهديها إلى الحبيب الوافد بعد رحلة انتظار طويلة مرهقة، غشاها الأرق والجفاف والحرمان ، وخطتها الدموع اليائسة..!!

كان عليها إذن أن ترسم خيالاتها الماضية فى لوحة حقيقة ، بدت رائعة أكثر مما كانت تتمنى وتنتظر. فقد ذاقت على يدى فارسها أطايب اللحظات الحلوة، وسمعت منه وهى كالمنومة اجمل كلمات الغزل.

كان واقعها الجديد كالحلم الذى طالما نسجته فى خيالها ، وجددت أحداثه وتفاصيله كل يوم لحظة بلحظة .

فمنذ سنوات طويلة كانت قد أدمنت أحلام اليقظة، تلك التى استغرقت جل تفكيرها.

لكن فيضانات المشاعر التى انطلقت تروى قصتها الجديدة، والوحيدة، كانت تفوق أحلامها الوردية ولياليها السعيدة ، وتتجاوز حدود تخيلها.

لحظة فوران

إنها «إيثيل جاى»، الموظفة بإدارة الرسوم الهندسية فى قسم المحفوظات بقاعدة الغواصات البريطانية فى دورست Dorset ، الواقعة فى أقصى جنوب بريطانيا إلى القنال الإنجليزى، عند منطقة تسمى «منقار بورتلاند» Will of Portland التى تشبه منقار طائر بالفعل.

أما الحبيب الذى فتح مسام مشاعرها، فكان «هارى هوتون» الذى كان يعمل بالمخابرات البحرية فى قسم سلاح الغواصات بالقاعدة البحرية، ثم إدارة الصيانة والإصلاح فى حوض بناء الغواصات.

أما قبل ذلك ، فكان يعمل نائباً للملحق البحرى فى السفارة البريطانية بوارسو.

كان هوتون متزوجاً من امرأة لا تنجب، ولهذا السبب بالذات بدا صادقاً عندما أخبر «ايثيل جاى» بأنه ضاق ذرعاً بحياته بدون أبناء، لذلك فهو يسعى لأن يعيش دور الأب مع زوجة أخرى يحبها وتنجب له ، وتكون اكثر حناناً ودفئاً بعدما افتقد مثل

هذه المشاعر طوال حياته الزوجية .

وكانت ايثيل على ثقة تامة بأنها ستكون عند حسن ظنه، فالسنوات الطويلة التى عاشتها منبوذة تحلم بالزوج والبيت والاستقرار، جعلتها أكثر إصراراً على أن تقوم لبدور الزوجة والعشيقة والصديقة والأم.

وكان عليها انتظار الوقت المناسب حتى يطلق هوتون زوجته ويتزوجا.

هكذا انشغلت ايثيل بالحبيب الودود الحنون، وانتظرت على أحر من الجمر تلك اللحظة السحرية التى تضمهما معاً فى بيت واحد، حيث ستظله بحبها وتغدق عليه بمشاعرها المختزنة طوال سنوات بانتظار لحظة الفوران.

بلاغ كيدى

لكن ..

ترى ما علاقة ايثيل العاشقة بالجاسوسية والخيانة..؟

وما هى أسرار هذا الحب المفاجئ الذى هبط عليها بدون موعد..؟

ولماذا كانت قصة ايثيل إحدى فصول هذه السلسلة..؟

ترجع البداية إلى شهر أبريل عام ١٩٥٩، عندما تسربت معلومات أمنية هامة تفيد بوجود جاسوس بريطانى كان قد سبق له العمل فى البعثة الدبلوماسية البريطانية فى وارسو، وأجبر على العمل فى التجسس هناك بعد أن اكتشفت الاستخبارات البولندية تورطه فى عمليات تهريب وتجارة فى السوق السوداء، وربما التقاط صور له فى أوضاع جنسية شائنة.

بعدها بقليل ... حصلت الاستخبارات البريطانية « M15 » على معلومات جديدة، تفيد بان الخائن البريطانى يعمل لصالح الاستخبارات السوفييتية فى أحد فروع الاستخبارات البحرية البريطانية.

وبالبحث الدقيق والتحرى بطرق سرية، تبين أن الأوصاف تطابقت على «هارى هوتون» .

يقول «بيتر رايت»[1] الذى عمل فى جهاز الاستخبارات البريطانى M15 لمدة ٢٥ عاماً :

ـ «كان هناك رجلا واحدا تنطبق عليه الصفات المطروحة، إنه هارى هوتون الذى كان يعمل فى مؤسسة الأسلحة تحت سطح الماء فى بورتلاند/ دورست، كما خدم فى وارسو عام ١٩٥٢ قبل أن ينضم إلى المخابرات البحرية».

كانت زوجة هوتون قبل سنين قليلة قد جاءت إلى رجال الأمن فى بورتلاند وأخبرتهم بأن زوجها هجرها من أجل فتاة لا تعرف اسمها تعمل فى القاعدة البحرية، وزعمت المرأة أيضا بأنه يجتمع مع الأجانب، ويذهب بانتظام إلى لندن لمقابلة أجنبى هناك لم تستطع تحديد هويته، كما أن لديه كمية هائلة من المال مخزونة فى صندوق حديدى فى حديقة منزلهم.

والغريب أن ضابط الأمن الذى أبلغته الزوجة أرسل تقريره مع

---

(١) بيتر رايت : صائد الجواسيس Spy Catcher ـ ترجمة عماد القسوس. دار الشرق ـ عمان ١٩٨٨، وملخص للكتاب عرض محمد مصطفى شردى عن دار مدبولى الصغير بالقاهرة عام ١٩٨٨.

بلاغها، وذكر ان هذا البلاغ فى رأيه بلاغ كيدى من زوجة هجرها زوجها ..

وعندما تم تحويل البلاغ إلى (M15) ، قام ضابط صغير بمراجعته .. ولما لم يجد أى سابقة «لهارى» فى ملفاتنا .. رجَّح صحة تقرير ضابط الأمن .. وحفظ الادعاء!!

عاشق الحسنوات

ويقول بيتر رايت :

- فى (M15) كنا فى غاية الإحراج، ولم يكن من السهل علينا أن نتخيل وجود جاسوس فى قاعدة الغواصات .

لكن ، تم جمع أكبر قدر من المعلومات المختلفة عن هارى هوتون وإيثيل جاى، كنوع من الاحتياط، مع مراقبتهما اللصيقة خلال زيارتهما للندن فى شهر يوليو ١٩٦٠ لوضع النقط فوق الحروف، وإغلاق هذا الملف الذى احتوى على بلاغ كيدى عن زوجة تتألم من هجر زوجها لها، حسبما تصورنا، حتى تكشفت لنا حقائق مذهلة لم تخطر ببال.

فأثناء وجود هوتون فى لندن وخضوعه لمراقبة لصيقة من

رجالنا هناك، شوهد يحمل حقيبة صغيرة فى طريق «واترلو» Waterloo rd بالقرب من محطة المترو وجسر واترلو، حيث يتسع نهر التيمس عند المنحنى الحاد فى هذه المنطقة.

وفجأة يقابل هارى هوتون رجلاً فيسلمه الحقيبة، ويستلم بدوره مظروفا صغيرا، وتم تصوير اللقاء عن بعد بكاميرا تلسكوبية.

على الفور تم التركيز على الرجل الغامض الذى قابله هوتون، وتمت مراقبته حتى وصل إلى سيارته التى تم التقاط أرقامها بسهولة.

وعند الكشف عن مالك السيارة تبين أنه شخص كندى الجنسية اسمه «جوردون أرنولد لونسديل»، وهو تاجر آلات موسيقية كان له مكتب فى شارع «ووردر» وشقة فى بيت كبير قرب حديقة «ريجنت» REGENT'S PARK .

ويكمل بيتر رايت:

- وضع لونسديل تحت المراقبة الكاملة، وقمنا بزرع أجهزة رصد فى مكتبة وشقته ، بالإضافة إلى إقامة مركزين للمراقبة

المباشرة، حيث وجدنا أنه يعيش حياة رجل ثرى فى لندن، ويطارد الفتيات الحسناوات اللواتى ينجذبن إليه بسهولة بسبب ثرائه وحسن مظهره وإنفاقة عليهن بسخاء، إلى جانب أنه كان كثير السفر باستمرار إلى خارج بريطانيا.

فى فندق ١٦٧

وفى بداية شهر أغسطس ١٩٦٠ سافر هارى هوتون وإيثيل إلى لندن، حيث تقابلا مع لونسديل فى أحد المطاعم القريبة من المسرح الفيكتورى القديم ، وقد تم رصدهما عن قرب شديد، حتى أن رجالنا شغلوا الطاولة المجاورة لهما.

وفى هذا اللقاء أخبرهما لونسديل بإلغاء اللقاء المقرر الشهر القادم «سبتمبر» ، بسبب اضطراره للسفر إلى الولايات المتحدة لإنجاز بعض الأعمال هناك، معرباً عن رغبته فى لقاءهما أول أكتوبر، وفى حالة عدم مجيئه من السفر فإن شخصاً آخر يعرفانه سيحل محله!!

انتهى اللقاء .. وانصرف هارى هوتون وإيثيل جاى، حيث دلفا إلى فندق معروف هناك يحمل اسم «فندق١٦٧» (Hotel 167)، وهو

منــزل علــى الطــراز الفيكتــورى يحمــل الــرقم نفســه، بطريــق برومبتــون القــديم (167 Old Brompton Road) تم تحويلـه إلى فنــدق بســيط، ضــمن ظــاهرة الفنــادق الاقتصــادية المنتشــرة فــى لندن، والتى تقدم لروادها فراشاً مريحاً وإفطاراً فقط.

ففــى كــل منطقــة كــبيرة بالمدينــة تتجمــع منــازل «الفــراش والإفطار» حول الميادين القديمة، وهى منازل تحولت شيئاً فشيئاً إلى فنــادق يــديرها أصــحابها فــى الغالــب ولا تتقيــد بالرســميات أو المظاهر، حيث أنها تقدم خدمــة عائليــة ورخيصــة لروادهــا أثنــاء إقامتهم لإنجاز بعض المصالح فى لندن.

وكان فندق «١٦٧» يقع الناصية على مسافة قصيرة من الشارع التجــارى الــذى يحمــل اســم (Kings Road) ، ومــن محطــة مــترو «جلوســستر رود» Gloucesster Road التــى ركبــا إليهــا وغادراهــا إلى الفندق، حيث ظلا فى غرفتهما إلى أن انصرفا صباح اليوم التالى، دون أن تلتقط لهما أيـة أحاديـث مـن قبـل رجـال (M15) لانشـغال الغرف الملاصقة بـالنزلاء مـن ناحيـة، ومـن ناحيـة أخـرى خشـية إدراكهمـا بأنهمـا تحـت المراقبـة، ممـا ستفشـل نتيجـة لـذلك شـتى الخطوات المنتظرة التالية.

لم تكن بولندية

سافر لونسديل إلى الولايات المتحدة بعدما أودع حقيبة وطردأ ملفوفاً بورق بنى فى بنك «ميدلاند». وبعد الحصول على تصريح بفتح الخزانة الحديدية تم نقل الحقيبة والطرد إلى معمل خاص بجهاز (M15) لفحصهما.

يقول بيتر رايت عن ذلك:

ـ «هكذا ، بعد سنين طويلة وقعنا على الشئ الحقيقى، حقيبة الأدوات الكاملة للجاسوس المحترف.

كانت هناك آلتا تصوير واحدة منهما مخصصة لتصوير الوثائق، والأخرى احتوت على فيلم مصور، كما كان هناك كتاب تعلم الطباعة على الآلة الكاتبة، الذى عرفت بأنه مرتبط بالكتابة السرية «الشيفرة ».

ومن خلال تعريض كل ورقة إلى الضوء، اسقطت التوصل إلى آثار ورقة الكربون الخاصة بالكتابة السرية، وأرسلنا الكتاب إلى الدكتور فرانك مورجان فى مؤسسة ابحاث الأسلحة النووية، الأمر

الذى ساعده مساعدة ثمينة فى برنامج أبحاثه الخاصة بكشف سر الكتابة السرية »

ويضيف رجل المخابرات البريطانى:

ـ وكان من أكثر الأشياء إثارة فى الحقيبة، ولاعة سجائر رونسون بها قاعدة مفرغة وبداخلها أشياء صغيرة جداً أخرجناها بواسطة أداة مطاطية ماصة وملاقط دقيقة.

وعندما فحصنا هذه «الأشياء» وجدنا أنها رقائق صغيرة جداً بها رموز للشفرة!! وواحدة منها كانت واضحة تماماً .. وتستعمل فى الوقت الحاضر.

وبخبرتى السابقة فى الاستماع والتنصت على الشفرات المختلفة .. لاحظت للوهلة الأولى أن الشفرة لم تكن بولندية .. لقد كانت الشفرة سوفييتية .. وكان الرجل «لونسديل» عميلاً للمخابرات السوفييتية (KGB) !!.

حيل مخابراتية

ويكمل رايت :

ـ لم يكن من السهل علينا أن نعرف متى يقوم (لونسديل) بالاتصال بالسوفييت .. فلم يكن مع الرقائق الصغيرة أى مواعيد تدل على وقت الاتصال .. خاصة وأن موسكو تراسل الآلاف من عملائها .

لذلك ، قررنا أن نقوم بواسطة أجهزة التنصت بالاستماع إلى «لونسديل» من شقة مجاورة لشقته[1] .. لمعرفة مواعيد اتصالاته مع الاتحاد السوفييتى ..

لكن بقت أمامنا مشكلة .. وهى كيف سنقوم بالعبث بالرقائق الصغيرة جداً دون أن يلاحظ «لونسديل»؟.. خاصة وأنه مازال يستعملها !!

وعلمنا فى تلك الأثناء أن المخابرات «السويدية» كانت قد

---

(١) تستخدم فى عملية التنصت عبر الجدران أغرب الآلات وأخطرها. فالميكرفون بأنواعه يخضع دائماً لتطورات عديدة لتحسينه وتطويره للوصول إلى أداء جيد فى عمليات التنصت، كذلك الحال مع أدوات استراق السمع الراديوية Radio Bugs واللاسلكية.

اكتشفت إحدى هذه الرقائق .. وطلبناها منهم فأحضروها لنا على طائرة خاصة سريعاً ، وقمنا فى الحال بفحص الرقائق الشفرية الخاصة «بلونسديل» .

وبتعريض الرقائق للفحص الدقيق، اكتشفنا أنها جميعاً ملتصقة ببعضها ، لتكون قطعة صغيرة للغاية لتثبيت الصفحات.. وأن اللصق المستعمل من نوع غريب .. فقمنا بتصنيع مادة لاصقة مماثلة.

وبالفعل قمنا بحل الصفحات الخاصة «بلونسديل» .. وتم تصويرها بدقة ثم تم ضغطها مرة أخرى لتعود إلى موضعها الطبيعى بعد طلاء أطرافها باللصق الخاص.. وأعدنا الحقيبة إلى موضعها وانتظرنا عودة «لونسديل» ..

وأثناء ذلك اتصل بى أحد رجالنا المخصصين للاستماع إلى الاتصالات الخاصة بالسفارة السوفييتية واستدعانى للمقر الخاص بجوار السفارة..

وعندما ذهبت قدم لى الرجل رسالتين تم التقاطهما على غير العادة. حيث لم تكن هاتان الرسالتان تخرجان من السفارة بصورة منتظمة!!

وكان تاريخ الرسالتان هو ٦ سبتمبر ، ثم ١٨ سبتمبر ١٩٦٠، تاريخ حصولنا على الحقيبة الخاصة «بلونسديل» وتاريخ إعادة الحقيبة أيضا .!!

لقد تأكدنا أن الرسالتين غير طبيعيتين بعد مراجعة الملفات الخاصة بأوقات بث السفارة السوفيتيية للرسائل الشفرية، حيث لم تقم السفارة ببث أى رسائل على مدى عامين كاملين فى هذا الوقت.

والاحتمال الوحيد هو أن السوفييت كانوا على علم بما يحدث لعميلهم فى لندن.

بانتظاره فى موسكو

ويكمل رايت :

أدت هاتان الرسالتان إلى إثارة قلق بالغ فى أروقة (M15) .. فمعرفة السوفييت بأمر «لونسوديل» معناها أن ادعاءات «تسلر» بوجود عميل سوفييتى داخل جهاز (M15) صحيحة . ولم يكن أمامنا سوى الانتظار طويلاً وعلى أحر من الجمر .. لظهور لونسديل مرة أخرى .

ومع بداية أكتوبر حضر هارى هوتون وصديقته ايثيل جاى إلى لندن .. ولم يذهب لاستقبالهما أى شخص .. ولم يظهر «للونسديل» أى أثر مما زاد من غضبنا جميعاً .

وفى يوم ١٧ أكتوبر أبلغ مركز المراقبة السرية أمام مكتب «لونسديل» أن الرجل عاد إلى عمله ..

فانتهى عند ذلك القلق المسيطر علينا، وبدأنا فى استكمال إجراءات مراقبته.. واستعادت حياة «لونسديل» طبيعتها ، وعاد لمقابلة «هارى هوتون إيثيل» وإدارة عمله فى تأجير أجهزة الموسيقى.

ولكنه برغم ذلك لم يعد إلى شقته الخاصة حتى منتصف نوفمبر ١٩٦٠ ، حتى أننا خلال ذلك الوقت لم نكن نعرف أين يقضى لياليه. ففى كل ليلة كان لونسديل يغادر مكتبه فى شارع ووردر ويتجه غرباً، وقررنا عدم استخدام عمليات المراقبة باللاسلكى، وكان لدينا تصميم على تحاشى أى خطأ.

فالمراقبة المكشوفة ممنوعة، وأجهزة الاتصال فى حالة صمت كاملة، ذلك لأنه كان من المستحيل تعقب جاسوس مدرب مثل لانسديل ولو لمسافة قصيرة دون إثارة حفيظته .

لذلك، قمنا باستخدام تكنيك شبه جامد .

ففى كل ليلة يقوم فريق عمل بملاحقته لمسافة قصيرة محددة ثم يختفى.

وهكذا استغرقت هذه العملية أسبوعين كاملين ، استخدمنا خلالها بعض الزوجات والمتطوعين من المكتب بحيث لا نستخدم الوجه إلا مرة واحدة.

وأخيراً وصلنا إلى الوكر الذى كان لونسديل ينام فيه غربى لندن .

وكان عبارة عن بيت صغير مع زوجين هما «بيتر وهيلين كروجر» ، وهما من نيوزيلندا ويديران مكتبة متخصصة فى بيع الكتب القديمة.

لكن حدث أن عاد لونسديل إلى شقته القديمة بعدما أخذ حقيبته من بنك «ميدلاند»، واستدعينا أحد خبراء الاتصالات للإقامة فى الشقة المجاورة له.

وظل الرجل يتابع كل موجة لاسلكية من موجات الاتصالات دون أن يخرج من الشقة لأسابيع كاملة، وكان عند التقاطه أى إشارة، حتى ولو كانت محطة إذاعية من شقة لونسليد، يقوم على الفور ببثها إلى مركزنا الرئيسى لمطابقتها بالشفرة التى حصلنا عليها.

وخشينا أن يكون لونسليد يستعمل شفرة جديدة غير تلك التى حصلنا عليها فى بث رسائله واستقبالها .. فقررنا هذه المرة الدخول إلى شقته .. وتفتيش الولاعة للتأكد من استعماله للشيفرة التى بحوزتنا.

وبالفعل دخلنا إلى الشقة عندما كان غائباً، وتأكدنا من أنه يستعمل هذه الشفرة، وأنه مازال غير عالم بوجودنا .. وقررنا

استمرار المراقبة .

وعلى مدى أسابيع طويلة ... استمعنا للرسائل الخاصة «بلونسديل»، والتى كانت عبارة عن تعليمات حول كيفية التعامل مع « هارى هيوتون وإيثيل » وكيفية الحصول على المعلومات الهامة والوثائق السرية منهما ..

كانت هناك أيضا بالإضافة إلى ذلك ، بعض المعلومات عن زوجة وأطفال «لونسديل» فى الاتحاد السوفييتى، والذين كانوا بانتظار عودته إلى موسكو بعد انتهاء مدة عمله كجاسوس خارجى، والتى كانت تقريباً ٥ سنوات.

خطة الحصار

تسارعت الأحداث، ونظراً للصلة الوثيقة بين الاستخبارات الأمريكية والبريطانية وتبادل المعلومات بينهما، حدث أن اتصل رجل بولندى بال C.I.A ، كان على علاقة بها منذ مدة، مبدياً رغبته فى الهرب إلى الولايات المتحدة قبلما يتم كشفه وإلقاء القبض عليه فى بلده.

وكان هذا الضابط[1] هو الذى حدد بوضوح وجود عميل بريطانى فى البحرية الملكية، عمل من قبل فى سفارة بلاده فى وارسو، وتم السيطرة عليه هناك بوسائل شتى منها تهريب السلع والاتجاه فى السوق السوداء بواسطة الحقيبة الدبلوماسية، وكان هذا الدبلوماسى هو «هارى هوتون» .

وخوفاً من هرب عملاء الاستخبارات السوفييتية من بريطانيا بعد انشقاق الضابط البولندى بما يحمله من أسرار، تقرر إلقاء القبض على أعضاء الشبكة بعدما اكتملت الأدلة ضدهم، تم وضع جميع العاملين بالقضية على أهبة الاستعداد، فأرسل فريق منهم إلى «بورتلاند» حيث يقيم هارى وإيثيل ليقوم بتفتيش مسكنهما فور القبض عليهما.

هذا. . . بينما جلس فنى التنصت فى الشقة المجاورة لمسكن، لونسديل، بغرض تحليل رسائل الاتحاد السوفييتى فوراً عند الاتصال به، تحسباً لأية رسائل تحذيرية يهرب لونسديل على أثرها.

لذلك كانت هناك مجموعة خاصة على أهبة الاستعداد للقبض

---

(١) استطاع أخيراً هذا البولندى الهرب إلى واشنطن فى ٥ يناير ١٩٦١ ، وتبين أنه ضابط استخبارات اسمه «ميخائيل جولينيفسكى» .

عليه فور تلقيه إشارة بالهرب، ورؤى الانتظار لبعض الوقت لاحتمال ظهور عضو جديد فى شبكته فى اللحظات الأخيرة. ولما تأكد أن لا أعضاء جدد فى شبكة لونسديل، تقرر القبض على الجميع فى ٧ يناير ١٩٦١.

لا تعاطف مع الخونة

وعن الساعات الأخيرة قبيل إلقاء القبض على «لونسديل» يقول بيتر رايت ضابط الاستخبارات البريطانى[1]:

- «فى مساء الجمعة ٦ يناير ١٩٦١ كنت فى غرفة العمليات مع زملائى نراقب لونسديل ونتنصت على اتصالاته .

كانت الغرفة ضيقة جداً أشبه ما تكون بزنزانة سجن، تحتوى على سرير حديدى وطاولة صغيرة فى الوسط، وكابلات كثيرة تملأ الأرض. وكان عندنا تليفونات للاتصال المباشر مع المدير العام، كما كان عندنا مستقبل صغير يحول إلينا كل صوت داخل شقة لانسديل».

ويضيف:

ـ استمعنا إلى عودة لانسديل فى وقت متأخر وكانت برفقته

---

(١) كتاب «صائد الجواسيس» ترجمة عماد القسوس «مصدر سبق ذكره».

صديقة له، فقمت بقطع الصوت أثناء تبادلهما احاديث الحب التى تصل إلينا.

وعندما هدأ كل شئ فى الشقة بين لونسديل وصديقته ، كان زميلى «وينتر بون» فى حالة نفسية سيئة، خاصة وأنه يعلم أن لونسديل سوف يظل ١٥ عاماً فى السجن على الأقل، وتكون حياته بعدها قد دمرت.

لقد كان الجاسوس المدرب «لونسديل» رب عائلة، له زوجة وبيت وأولاد. وكان يقوم بعمله مثلنا تماماً ويشتاق للعودة إلى أسرته ، تماماً كأى إنسان تضطره ظروف عمله لمغادرة منزله لفترات طويلة .

وعلى الأقل كان هذا الرجل «لونسديل» يؤدى عمله فى خدمة بلاده، مثلنا تماماً ، بينما اعتبرنا جميعاً أن هارى هوتون رجلاً خائناً وعميلاً لدولة أجنبية، وإيثيل جاى كذلك.

لذلك لم تتعاطف معهما مطلقاً، أو ننظر إليهما ببعض الشفقة. عكس لونسديل الذى كان جاسوساً، يعلم عواقب الأعمال التى يقوم بها على أرض دولة أجنبية، فى حين كان بإمكانه دخول بريطانيا بطريقة شرعية، كدبلوماسى مثلاً فى سفارة بلاده ، ولكن هذا لم يحدث، وبالتالى فقد كان العميل السوفييتى يستحق العقاب الذى سيناله.

قرار إغلاق الملف

كان الاسم الرمزى للونسديل هو «آخر فصل» ، أما هارى هوتون فقد كان اسمه فى الـ KGB هو «الشاه» [1].

من جديد، بدا زميلى الرومانسى «وينتر بورن» منزعجا، وقال فى أسى:

ـ إن هذا الرجل ليس خائنا، ليس مثل هوتون وإيثيل، فهو يقوم بواجبه ، مثلنا .

وقلت :

ـ لا أستطيع إلا أن أفكر بزوجته وأطفاله.

وعرفوا ماذا أقصد .

فقد قرأوا رسائل لونسديل مثلى، وكانت تفيض بالأحاديث عن البيت، ومشاكل البيت والأولاد، وأعياد الميلاد، ومشاعر الأطفال الذين يفتقدون أباهم.

ولانسديل، رغم كونه جاسوسا فهو إنسان، يمر بتقلبات

---

(١) الشاه بالفارسية يعنى (ملك) . وكان شاه إيران محمد رضا بهلوى يطلق على نفسه لقب (الشاهنشاه) ، أى (ملك الملوك) .

نفسية كثيرة مثل أى رجل يعمل خارج وطنه، ويشعر بالحنين إلى الـوطن والبيـت، باحثـا أحيانـا عـن السـلوى بـين أحضـان نسـاء غريبات، لينسى همومه ومعاناته المرهقة، لا بحثاً عن لذة ينشدها فى المقام الأول.

وقلت معلقاً:

ــ لونسديل ليس خائنـا . إنـه بالفعل يقوم بواجبـه لصالح وطنه على أكمل وجه، وبإخلاص ..!!

وعنـد الصباح، أيقـظ لانسـديل الفتـاة وأخـذ يقنعها بمغـادرة البيت، متعللاً بأن لديه عملاً مهماً يجب أن يقوم به. وأمام إلحاحه ارتدت الفتاة ملابسها وانصـرفت، بينمـا اسـتعد لاسـتقبال رسـالة لاسلكية من موسكو.

ودخل إلى الحمام يغنى باللغـة الروسـية، وكانـت الرسـالة التـى جاءتـه رسـالة عاديـة تحمـل العديـد مـن أخبـار العائلـة والـوطن، وخالية من أى تحذير .

بعدها، تم الاستعداد لإغلاق ملف القضـية نهائيـاً، أى بـالقبض على لونسديل أثناء مقابلته مع هـارى هوتـون عصـر السـبت، كمـا تم ترتيب إلقاء القبض على إيثيل وآل كروجر أيضا .

ارتعاشة قلب

وعند الساعة الثالثة ونصف عصراً من يوم السبت ٧ يناير ١٩٦١، كان لونسديل قد غادر محطة مترو Waterloo متجهاً إلى ناحية نهر التيمس.

وقبل أمتار قليلة عرج فجأة إلى ناحية الغرب ليقترب بحذر من Royal Festival Hall ، حيث كان هارى هوتون وايثيل جاى يقفان وقد تظاهرا بالحديث، بينما تدور عينا هوتون فى قلق تبحثان عن لونسديل.

كان العميل السوفييتى هارى هوتون وشريكته ايثيل، حسبما أمرهما لونسديل، يبيتان فى فنادق مختلفة فى كل مرة يلتقيان به فى لندن، وفى مرات عديدة كانا يعودان بالقطار إلى الجنوب فى Portland دون أن يهنئا بليلة حب ينتظرانها دائماً عند كل مقابلة.

هذه المرة، كانا قد وصلا إلى لندن عند الظهر تقريباً، ورتبا لقضاء بعض الوقت فى إحدى الحانات إلى أن يحين موعد اللقاء المرتقب مع لونسديل.

لذلك فقد اتجها من فورهما إلى «شارع فليت» ، وهو شارع

الصحافة فى لندن، واختار هوتون حانة مشهورة اسمها «يى أولد كوك تافيرن» Ye Old Cock Tavern للجلوس مع خطيبته المتيمة، وتأتى شهرة الحانة لما تردد حول اختيار «تشارلز ديكنز» لها كمكان مفضل أيام أن عاش فى «فليت ستريت»[1].

كانت ايثيل متمسكة بحبيبها هوتون إلى آخر مدى، فهو الذى حرك فيها مشاعر الحب لأول مرة، وأيقظ لديها رعشات أنوثتها التى كانت فى حال من السكون والصمت .

أيضا هو أول رجل أحبها وأسمعها كلمات الغزل وعبارات الهيام التى كانت تسمعها فقط فى أفلام السينما ، أو تقرأ عنها فى القصص الروائية.

كم هو رائع أن تتجه مشاعر الإنسان إلى شخص بعينه يبادله حبا بحب، ودفئا بدفء، وإخلاصا بإخلاص .. وها هو الحبيب، هارى هوتون، يصب فى أذنيها صبا عبارات الغزل بدون توقف لتسترد أنفاسها، فيحيلها إلى كتلة هائلة من مشاعر تبث الحب للحياة والأشياء ولكل هؤلاء الذين يحيطون بها.

---

(١) فليت ستريت Fleet Street شارع مشهور يقع فى وسط لندن تقريبا على مسافة أمتار قليلة من نهر التايمز Thames ، حيث يبدأ عند مبنى سومرست هوس وكوبرى واترلو، ويقع به مبنى محكمة العدل الملكية، ويمتد الشارع لمسافة كيلو متر تقريبا وينتهى بكوبرى بلاك فريزر.

القبض على الجواسيس

غادرا الحانة وهما فى غاية السعادة كعاشقين لفهما الشوق، وينويان قضاء ليلة حب مدهشة فى لندن بعد انتهاء المهمة التى وصلا لأجلها.

وعند الساعة الرابعة عصراً يوم السبت ٧ يناير ١٩٦١ كان لونسديل قد غادره محطة مترو الأنفاق فى Waterloo متجهاً ناحية هارى وإيثيل .

وما إن رأياه حتى ابتسما فى ترحاب وبدا الأمر بشكله الواضح طبيعياً لا شبهة فيه.

وبعد تبادل أحاديث قليلة أخرج هارى هوتون مظروفاً يحتوى على مستندات عسكرية، فتناوله لونسديل الذى ناول الأخير مظروفاً صغيراً بالنقود.

وقبلما يتحرك لونسديل مبتعداً ومودعاً، انشقت الأرض عن عشرات من رجال (M15)، الذين كانوا يملأون المكان من حولهم فى هيئات مختلفة.

صعق العميل السوفييتى وعجز عن الحركة، أما هارى هوتون

فقد كان يقول كلمات غير واضحة بالمرة ، هذا بينما انهارت ايثيل وصرخت صرخة مكتومة قبلما تسقط على الأرض فاقدة الوعى.

وبرغم أن هارى هوتون لم يفقد الوعى ، وظل واقفا فى ذهول ودهشة فقد تبلدت مشاعره بشكل حاد وفقد أى قدرة على الكلام.

كان هذا يجرى فى الوقت نفسه الذى تحركت فيه قوات أخرى لإلقاء القبض على الزوجين كروجر، وتفتيش مسكنهما فى ٤٥ كرانلى جاردنر غربى لندن، وكذلك تفتيش منزلى هارى هوتون وايثيل جاى فى بورتلاند Portland.

وفى التحقيق ظهرت مفاجآت مذهلة عند استجواب لونسديل وشبكته .

كانت أولى هذه المفاجآت أن لونسديل الذى كان هناك اعتقاد جازم بأنه عميل بولندى، كان رجل استخبارات سوفييتياً من جهاز الـ K.G.B واسمه الأصلى «جوردون لانسديل» ، وهو اسم لرجل فنلندى الأصل ، توفى منذ زمن بعيد.

أما الزوجين كروجر، فقد اتضح أنهما اليهودين «موريس ولونا كوهين» ، المطلوبان للمباحث الفيدرالية الأمريكية F.B.I،

لعلاقتهما بقضية التجسس النووى المعروفة عالميا باسم قضية آل «روزنبرج» [1].

لكن المثير الذى تم الكشف عنه، أن ايثيل جاى تعاونت مع هارى هوتون ليس من أجل المال، إنما من أجل الحب الذى تفقده فى حياتها بعدما قاربت سن العنوسة بدون صديق أو حبيب أو زواج.

فكيف جندها هارى وأقنعها بتعاونها معه؟

سأفعل أى شئ لأجلك

تقول ايثيل وهى تبكى فى ألم وحسرة:

- «لاشك أننى خدعت خدعة عمرى كله .. لقد بعت نفسى ووطنى بثمن بخس من أجل الحب، الذى اتضح لى الآن أنه كان سراباً ووهماً كبيراً.

إن هذا الرجل استغل مشاعرى وضعفى.. استغلنى أسوأ

(١) وهى القضية التى قام أفرادها بتسريب أسرار القنبلة الذرية الأمريكية للسوفييت، وحكم فيها على جوليوس روزنبرج وزوجته إيثيل بالإعدام بواسطة الكرسى الكهربائى، بينما نالت شقيقته وزوجها «الذى هو شقيق زوجته» بالسجن لعدة سنوات.
وتفاصيل القصة جاءت بأحد أعداد هذه السلسلة.

استغلال دونما رحمة، وكنت على استعداد لأن أسلمه كل أسرار البحرية البريطانية مقابل كلمة حب..!! »

وتكمل وهى مطرقة ذاهلة:

ـ لقد أقنعنى أنه يحبنى .. وطرت من السعادة عندما أخبرنى أنه يريدنى زوجة له بعد أن يطلق زوجته.

وبدلاً من أحلام اليقظة التى أدمنتها لدرجة الهوس لسنوات طويلة من عمرى ، بدت أحلامى البعيدة تتحول أمام عينى شيئا فشيئا إلى حقيقية.

ولما قص علىّ حكايته فى بولندا عندما كان فى السفارة البريطانية هناك، وأنه كان يتاجر فى السلع والخمور لزيادة دخله حتى هدده دبلوماسى أمريكى بكشف سره ، وقفت إلى جانبه وخففت عنه معاناته.

وذات يوم جاءنى هارى يخيم الحزن على وجهه، وأخبرنى بأن الدبلوماسى الأمريكى الذى كان قد هدده فى وارسو من قبل، اتصل به ويطلب منه معلومات عن القاعدة البحرية لصالح حلف شمال الأطلسى للتأكد من الالتزام البريطانى تجاه الحلف. مشيراً إلى أن لديه مستندات وأدلة عن ماضيه، تدينه، وقد تؤدى إلى محاكمته وضياع مستقبله.

يومها.. نظر إلىّ هارى بعينين دامعتين وكان صوته يرتجف لاضطرابه الشديد.

وسألنى سؤالاً واحداً:

ـ هل ستتخلين عنى فى محنتى..؟

قلت له على الفور، وبدون تفكير :

ـ إننى على استعداد لأن أفعل أى شئ لأجلك .. أى شئ يا هارى .. ومهما كان هذا الشىء.

لست نادمة

وتضيف إيثيل :

ـ لقد كانت تمر على سائر الملفات العسكرية البحرية وأكثرها سرية .

ولأن الأمر يتصل بحلف الأطلسى لم تكن لدى شكوك فى نوايا هارى أو خيانته لبلده.

لذلك كنت أسلمه عن طيب خاطر، وبمنتهى الأمانة، صورة كربونية من التقارير السرية التى كنت أطبعها على الآلة الكاتبة،

أو آخذ معى ملفات بعينها ليصورها هارى ثم أعيدها إلى مكانها فى اليوم التالى.

لم أكن اخذ منه آية نقود ولم أفكر بذلك.. فأنا لم أكن أبحث عن المقابل المادى لما أقوم به، بل كانت تكفينى نظرة حانية منه، أو لمسة سحرية من يده.

وعندما كنا ننفرد ببعضنا كان يكفينى حنانه الذى يغمرنى به كل لقاء وكل لحظة..

إنه رجل سخى العواطف حار الكلمات، لا يبخل علىَّ بلحظات حب تذهب بعقلى، وتحيلنى إلى مجرد عاشقة مغيبة العقل، لا تكاد تفكر أو ترى أو تشعر إلا بقلبها، ومن خلال عيون حبيبها ونظراته الآسرة.

وتكمل فى حزن:

ـ هكذا كنت أيها السادة .. فتاة رومانسية حالمة حرمت طويلاً من الحب، حتى وجدته أخيرا مع رجل مدهش محنك جرجرنى بقناعة، وبدون تفكير، إلى أن سلمته كل ما يطلبه من أوراق وأسرار تتصل بعملى.

إننى الآن وعن وعى كامل ، أعلن أمامكم بصراحة ، أيها السادة

أننى الآن قد أفقت وأفكر بعقلى .. وأدرك جيداً حجم المعلومات التى تم تسريبها إلى السوفييت بسبب غبائى ورعونتى وحاجتى إلى الحب.

لكن .. صدقونى أيها الناس إن قلت لكم، وبكل أمانة، إن هارى هوتون وهبنى أنوثتى المفتقدة، وخفقات القلب المفعمة بالحب والأمل والحياة، كما أنه أيضاً منحنى الكثير الذى لم أكن أتخيله.

لذلك فأنا الآن وبعد الآن أقول بأننى لست نادمة على علاقتى به ، ولست نادمة أبداً لأننى سلمته أسرارا عسكرية تمس وطنى وتسليحه.

إن مسألة التصنيع العسكرى والتسابق فى هذا المجال بين الشرق والغرب لا تعنينى البتة ، لكن ما يعنينى هو: هل كان هارى صادقاً فى حبه لى أم اتخذنى وسيلة للحصول على أسرار استراتيجية هامة؟

وسواء كان هذا أو ذاك ، فأنا مازلت أحبه .. وسأحبه حتى آخر لحظة فى حياتى..!!

الجاسوسة الصريحة

وإذا كانت ايثيل قد حاولت التملص من الجريمة فى البداية، فإنها ضعفت فى النهاية واعترفت بأنها تجسست لصالح السوفييت، حيث تعامت من أجل الاحتفاظ بخطيبها ، وحمايته فى الوقت نفسه من الوقوع فى الخطأ الذى قد يؤدى إلى كشفه.

ولذلك فقد كانت ترافقه عند سفره إلى لندن لمقابلة رئيسه المباشر، لونسديل، والتحدث معه بشأن الوثائق التى تحصلت عليها، ومناقشته فى نقاط التكليفات التى كان يحملها إليها مع كل زيارة.

هكذا اعترفت ايثيل جاى بنشاطها التجسسى فى وضوح تام، مما أدى لانهيار لونسديل حينما تمت المواجهة بينهما، إذ ظن بأن الفتاة العاشقة لن تفيض هكذا فى سرد دقائق التفاصيل، حتى اطلقت عليها الصحافة البريطانية «الجاسوسة الصريحة التى أطلق العشق لسانها» .

وخلف جدران مبنى المخابرات البريطانية، كانت هناك خلافات شديدة تتصل بالتقرير الفنى الذى قدمه رجل المخابرات بيتر رايت حول قضية لونسديل وهارى وإيثيل.

إذ أن تحليله للقضية لم يعجب رؤساءه لاعتماده فى تحليل بعض المواقف على التخمينات والافتراضات.

وقال له رئيسه[1]:

- لقد قرأت تحليلك عن قضية لونسديل، وأود أن أقول لك إن الكثير منه لم يقنعنى.

وأكمل:

- الحقيقة الواقعة أننا اعتقلنا ثلاثة جواسيس روس محترفين، وهؤلاء هم أهم مواطنين روس يقدمون للمحاكمة عندنا منذ أجيال عديدة .

كما اعتقلنا جاسوسين خطيرين فى أهم مؤسسة أبحاث عسكرية تحت الماء فى البلاد.

وبكل المقاييس فهذا النجاح كبير.. فما هى الفائدة التى يسعى الروس إلى كسبها من أجل أن نفعل هذا..؟

فقال بيتر رايت:

- يسرنى جداً يا سيدى أن أوضح كافة النقاط التى ضمنتها تقريرى إذ كان فى هذا الأمر ما يساعد.

ويضيف :

(١) صائد الجواسيس .. (مصدر سبق ذكره) .!

ـ بدأت أبرز بعض النقاط من تقريرى لأكشف غموضها، وأنا أحاول ألا أشير إلى أى استنتاج.

لكنه كان يهاجم كل نقطة أطرحها قائلا :

ـ كيف عرفت..؟

ـ كيف لى أن أتأكد..؟

ـ لا تتحدث عن فرضيات.

ـ لابد أن يشتمل التحليل على حقائق ثابتة من واقع الأدلة لا تحتمل أى خطأ .

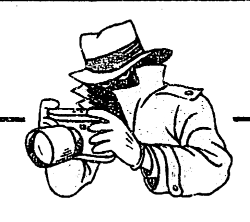
ـ هناك ثغرات فى بعض نقاط التحليل تضعف الأدلة وتكون فى صالح هؤلاء الجواسيس الخمسة .

ـ يبدو أنك مللت من العمل ولم تعد متحمسا له كما كنت من قبل .. هه .. أليس كذلك ..؟

ـ أرجو أن أراك فيما بعد أكثر اهتماما بالحقائق والأشياء الصغيرة ، مهما كانت ، لأن عملنا لا يحتمل الخطأ . فالخطأ معناه وقوع كارثة ما فى ذلك من شك .

كان هذا يدور بينما كان الجواسيس الخمسة بين جدران السجن..!!

آن بولارد



يهودية أمريكية تحمل أفكاراً صهيونية مثل زوجها جوناثان بولارد، الذى ألقى القبض عليه بتهمة التجسس لصالح إسرائيل ونال حكماً بالسجن مدى الحياة. كانت «آن» رفيقة زوجها فى العمل ضد وطنها، وكانت مهمتها إخفاء الوثائق التى يحصل عليها حتى يتم تسليمها إلى الإسرائيليين .. ولم تعلن عن ندمها لجريمتها، كذلك لم يفعل زوجها..

غريزة التجسس عند اليهود

...عقدة الذنب هى التى تدفع اليهود أسبوعياً للبكاء بشدة أمام حائط المبكى فى القدس. لكن ... أى ذنب هذا الذى يبكون من أجله؟

إن السبب ليس خطيئة دينية أو أخلاقية كما هو مشاع إعلامياً. بل خطيئة إسرائيل الكبرى التى وقعت فيها والتى لابد منها، ولابد أيضاً من انتظار الوقت المناسب لإيجاد الوسائل البديلة للتخلص منها.

إنها الخطيئة التى رسمتها واعترفت بها الصهيونية العالمية منذ المؤتمر الصهيونى الأول فى بال بسويسرا عام ١٨٩٧ وهى (ضرورة الاعتماد على القوى الكبرى فى العالم لتحقيق مخططات الصهيونية ومن بعدها إسرائيل) . وهذه الخطيئة يجب البكاء عليها بحرارة لأنها ضرورية.

ولابد أن يستمر البكاء إلى أن يتم التخلص منها نهائياً حين تصبح إسرائيل دولة كبرى ـ مستقلة ـ عن أى قوى أخرى. وهذا لن

يتحقق إلا إذا أصبحت إسرائيل قوة سيطرة ، تهيمن وحدها على الشرق الأوسط كله دون الاعتماد على غيرها من الدول بما فيها أمريكا.

ولن يتم لها ذلك إلى بالقوة .. وبالحصول على أحدث أسرار التكنولوجيا العسكرية فى العالم.

لذلك ..

فسرقات السلاح والتكنولوجيا هدف قومى عند اليهود ، والموساد لن تكف عن التجسس على مؤسسات الدول الكبرى إلى أن يتحقق الحلم الكبير .. الحلم الذى يذرفون لأجله دموعهم امام حائط المبكى..!!!

ولأن إسرائيل دولة لا تعترف بالمبادئ أو القيم، فهى لا ترى غضاضة فى التجسس على أمريكا طالما كانت هناك خطوة تقربها نحو تحقيق الحلم المسعور.

وأمام الرغبة فى تحقيقه فلا اعتراف بمواثيق أو عهود، أو حتى بمبادئ الأخلاق .

وهذا ما حدث مع الولايات المتحدة الأمريكية فى واحدة من

أهم قضايا التجسس الإسرائيلى عليها.

فبينما كان الرئيس الأمريكى رونالد ريجان[1] فى طريق عودته من قمة جنيف فى طائرة الرئاسة، تتلقى برقية عاجلة من وزير خارجيته جورج شولتز يقول فيها انه تم اكتشاف جاسوس لإسرائيل يعمل فى دائرة المعلومات فى البحرية الأمريكية يدعى جوناثان مورس بولارد .

وعقب ريجان غاضباً:

- لماذا يفعلون ذلك؟ إنهم يحصلون منا على دعم سياسى وعسكرى ومادى. ماذا يريدون بالضبط؟

كان الرئيس ريجان يعلم أن هناك حقائق معروفة جيداً تتصل بإسرائيل وسرية جداً بالنسبة للشعب الأمريكى، من بينها أن عدد حالات التجسس الإسرائيلية على الولايات المتحدة تفوق عدد حالات التجسس الأخرى لأى دولة عدا الاتحاد السوفييتى. أى أن

---

(١) رونالد ريجان: (١٩١١-٢٠٠٤) ولد بمدينة Tampico وكان والده بائع أحذية، ومات من الفرح بعدما شاهد أول فيلم سينمائى لابنه ريجان. درس ريجان الاقتصاد ثم عمل بالتمثيل وتزوج من الممثلة جين وايمان ثم من نانسى. وانتخب رئيسا للولايات المتحدة عام ١٩٨٠ لفترتين متتاليتين. وفى عهده قصفت الطائرات الأمريكية ليبيا عام ١٩٨٦ بغية اغتيال القذافى. وفى آخريات حياته أصيب بعدة امراض، وفقد تركيزه إلى ان مات.

إسرائيل تحتل المرتبة الثانية فى التجسس على أسرار الولايات المتحدة بعد الاتحاد السوفييتى .

وتشمل عمليات التجسس مجالات واسعة للغاية، ابتداء من أسرار الاتصالات الدبلوماسية الأمريكية إلى أسرار التكنولوجيا العسكرية والخطط الحربية. بل ومعلومات عن خطط الدول الأخرى وأسلحتها وقواتها.

وتدرك الإدارة الأمريكية بعمق أن التجسس الإسرائيلى على أسرارها الحربية سياسة ثابتة وأساسية عند إسرائيل، ولن تتوقف أبداً مهما وقعت على إتفاقات بعدم التجسس. فالتجسس عند اليهود غريزة لا يمكن أن تنطفئ أبداً.

الحرباء

ولكن .. لماذا تتجسس إسرائيل على أمريكا صاحبة الفضل فى وجودها برغم العلاقات الحميمة بينهما ؟ وماذا يريدون فى إسرائيل بالضبط كما قال ريجان؟؟

الإجابة نستخلصها من مقولة موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى بعد اشتراك إسرائيل فى العدوان الثلاثى على مصر

سنة ١٩٥٦ مع إنجلترا وفرنسا .

يقول ديان:

- (كانت إسرائيل فى هذه الحرب مثل راكب دراجة يمسك بسيارة كبيرة مسرعة متعلقاً بها.)

لقد اشتركت إسرائيل فى الحرب لأنها لم تكن بقادرة على الهجوم وحدها، وكانت إنجلترا وفرنسا فى ذلك الوقت تمثلان القوى الإستعمارية الضاغطة فى المنطقة.

فلما طلب إيزنهاور منهما الإنسحاب ومعهما إسرائيل، اتجهت إسرائيل إلى أمريكا بكل قوتها ،وخططت على أن تعتمد عليها عوضاً عن فرنسا وإنجلترا.

وبعد نكسة ١٩٦٧ تأكد لأمريكا أن إسرائيل هى الدولة الأقوى فى المنطقة ،ومن ثم قامت إسرائيل بدور الشرطى القذر فى المنطقة تحت حماية ورعاية أمريكا التى ساندتها بكل ما تملك، إلى أن جاءت حرب ١٩٧٣ وكادت الجيوش العربية أن تقضى على الوجود الإسرائيلى لولا التدخل الأمريكى.

لذلك سارعت إسرائيل بعقد الاتفاقية الإستراتيجية العسكرية مع أمريكا، وحصلت بذلك على أحدث الأسلحة مع الدعم السياسى

والدبلوماسي فى مجلس الأمن والأمم المتحدة بلا حدود، ووضع الفيتو الأمريكى تحت تصرف اليهود.

كل ذلك، ولا تخجل إسرائيل فتتجسس على أمريكا، وهذا يثبت لنا أن جلد إسرائيل كجلد الحرباء، يتغير بين الحين والأخر تبعاً للمواقع المحيطة والظروف المستجدة.

إغلاق الملف

لقد أعلنت إسرائيل عن نواياها الشرهة حين قالت أنها تعمل على ان تكون هى البديل الأوحد لجميع أشكال الاستعمار القديم والحديث فى منطقة الشرق الأوسط. وبأنها يجب أن تكون مستقلة عن أى دولة كبرى كانت تعتمد عليها من قبل فى تنفيذ مخططاتها، لكى تصبح وحدها هى المسيطرة على زمام الحياة والأمن فى الشرق الأوسط، كقوة كبيرة تفرض بعد ذلك على الدول العربية الطاعة والاستسلام بالقوة.

من هنا، كانت رؤية إسرائيل لمسألة التجسس على أمريكا مسألة مصير .. وهدفا من أهداف سياستها واستمراريتها وهيمنتها على الدول العربية.

فأمريكا هى التى تمدها بالمعونة وبالسلاح ، وتكتفى بأن

تزودها بالأسلحة المتطورة جداً دون أن تطلعها على أسرار صنعها. هذا فضلاً عن أن إسرائيل لن تستطيع الوصول إلى التصنيع الحربى المماثل لنظيره الأمريكى بأى حال ، إلا بعد فترة طويلة من البحوث والدراسات وبالتكنولوجيا المعقدة التى ما وصلت إليها أمريكا إلا بعد سنوات شاقة من العمل

لذلك...

اخترع موضوع حائط المبكى الدينى لغرض سياسى واحد ، هو البكاء على إسرائيل ذاتها ، مادامت تعتمد على قوة خارجية تحمى أمنها وتوجه سياستها.

فإنهم فى إسرائيل ينظرون إلى أنفسهم على أنهم شعب الله المختار، وأنهم أسمى من الأجناس الأخرى وأرقاها، وأن الاعتماد على أمريكا هو اعتماد (مؤقت) ، وإلى أن يزول هذا السبب، فالبكاء مستمر.

ولذلك فلا عجب إذا كثرت حوادث التجسس الإسرائيلى فى أمريكا، للدرجة التى جعلت الرئيس الأمريكى رونالد ريجان يصدر قراره الرئاسى رقم ١١٧ سنة ١٩٨٥، والذى يقضى بالتوسع فى استخدام أجهزة الكشف عن الكذب (البوليجراف) Polygraph

لاختبار كبار رجاله، وزراء ومسئولين فى البيت الأبيض، وكذلك مدراء الشركات الذين يتاح لهم الإطلاع على الأسرار العسكرية والتكنولوجية والسياسية .

وجاء ذلك عقب الاعتذار الإسرائيلى العلنى عن حادث تجسس جوناثان بولارد وإغلاق ملف القضية.

ولكن فتح ملف الصراع داخل الحكومة الأمريكية، بين قبول ورفض الخضوع لجهاز الكشف عن الكذب، فى عملية مسح داخلية لرجال الإدارة الأمريكية، للبحث عن المتورطين مع الموساد الإسرائيلى بعد تفشى ظاهرة تجسس إسرائيل على أمريكا.

وافق أخيراً كبار رجال الدولة على العرض على الجهاز ما عدا جورج شولتز[1] وزير الخارجية الذى اشتد غضبه ، فقاد حملة إعلامية ومعركة شعواء لأجل إثناء الرئيس الأمريكى عن قراره الذى يهدم الثقة فى رجاله ، ويؤدى إلى عواقب وخيمة.

بعدها.. أعلنت الإدارة الأمريكية أن قضية بولارد لن تعرقل العلاقات بينها وبين إسرائيل ، وأنه لن يغلق ملف بولارد فقط، بل أغلق ملف التجسس الإسرائيلى على الشعب الأمريكى نهائياً.

(١) جورج شولتز: تولى منصب وزير الخارجية الأمريكية من عام ١٨٩٢ حتى عام ١٩٨٩.

شجرة الصبير

بعد هذا القرار اطمأن جوناثان بولارد على مصيره . فلا عداء بين الدولتين لكى يحدث بينهما تبادل للجواسيس .

فالقضية حسمت بإعلان الرئيس الأمريكى رونالد ريجان إغلاق ملف تجسس الأصدقاء، وانتظر بولارد ذلك اليوم الذى يخرج فيه من السجن ليتوجه مع زوجته إلى إسرائيل معززاً مكرماً ليمنح الجنسية الإسرائيلية رسمياً.

(ويذكر أن ريجان الذى سمح بالتغلغل الإسرائيلى فى أجهزة الإدارة الأمريكية ومؤسساتها وأفرج بنفسه عن جاسوس أمريكى لإسرائيل - هو أيضاً الذى أمر بضرب الجماهيرية الليبية بحجة الإرهاب) .

ونعود إلى بولارد .

فهو كان يعمل محللاً مدنياً فى جهاز مكافحة التجسس فى المخابرات البحرية الأمريكية، وكان مسموحاً له بالإطلاع على الوثائق البالغة السرية فى مكان عمله . وقد لفت نظر العاملين معه فى الجهاز عندما طالب بالاطلاع على وثائق لم يكن

مسموحاً له بالاطلاع عليها ، وأيضاً لوحظ أنه كان يحمل معه إلى منزله كمية كبيرة من الملفات.

وعند ذلك، تم وضعه تحت المراقبة، خاصة وهو يهودى متعصب لإسرائيل ويجاهر بذلك دائماً.

أما زوجته آن فكانت تخبئ الوثائق فى خزائن الثياب وأودعت بنفسها حقيبة مليئة بالوثائق (١٦٠ وثيقة) لدى الجيران مليئة بالأسرار العسكرية عن الدول العربية تتضمن صوراً عن تحركات الجيوش العربية، وأطلق بولارد اسم (شجرة الصبير) على هذه الحقيبة وكانت اتصالاته مع زوجته مسجلة أثناء محاكمته حيث طلب منها انتزاع (شجرة الصبير) من مكانها.

تبريرات الخيانة

وقصة القبض على بولارد قصة عجيبة وشيقة . فبعد أن شعر بأنه مراقب فى العمل وفى المنزل وفى الشارع ، وأن تحركاته محسوبة جيداً ، استطاع أخيراً أن يناور رجال المخابرات المركزية ويغافلهم أمام مبنى السفارة الإسرائيلية بواشنطن.

لقد فوجئ مسئولو السفارة بدخول بولارد الذى يعرفونه

جيداً، وكان يجرى ومن خلفه كان هناك عدة أشخاص وقفوا بالخارج على الرصيف المقابل.

وما أن أعلن عن رغبته فى اللجوء السياسى لإسرائيل حتى انتفض السفير الإسرائيلى، خاصة عندما أخبره الحرس الإسرائيلى بأن عناصر من المخابرات الأمريكية كانت تطارده وأنها ما تزال تقف بالخارج.

ورفض السفير الإسرائيلى طلبه فوراً بل أمر الحرس بطرده خارج السفارة.

فحمله الحرس إلى البوابة الخارجية ودفعوه ليمسك به رجال المخابرات، ويعترف أثناء التحقيق أنه قبض ٥٠ ألف دولار من إسرائيل نظير تجسسه خلال ١٨ شهراً، استمر خلالها يرسل بالمعلومات التى تطلبها إسرائيل، وأنتهى الأمر بالحكم عليه بالسجن مدى الحياة.

ونتجت عن هذه الفضيحة تشنجات فى العلاقة بين أمريكا وإسرائيل سرعان ما هدأت ثم تبخرت وكأن شيئاً لم يكن، خاصة بعدما اعتذرت إسرائيل رسمياً ووعدت بمعاقبة رجال أجهزتها الأمنية المتورطين فى هذه الفضيحة. وعللت أسباب التجسس عليها بأن هناك شك لديها بأن الولايات المتحدة تحجب عنها

معلومات هامة يهمها أن تعرفها، مثل:

- التكنولوجيا العسكرية المتقدمة لصناعة السلاح.
- المعلومات العسكرية الخاصة بقوات الدول العربية وطبيعة توزيعها.
- الطائرات العسكرية الأمريكية التى تقدمها لإسرائيل مجردة من بعض الأجهزة الإلكترونية.
- قدرات الطائرات الأمريكية العسكرية المباعة للملكة العربية السعودية.
- التجسس على رسائل السفراء الأمريكان فى العواصم العربية من خلال الأسطول السادس.

القنبلة العنقودية

كان بولارد قد عمل فى البحرية الأمريكية منذ عام ١٩٧٩، وانتقل منذ بداية ١٩٨٣ للعمل فى فرع المخابرات الأمريكية المهتمة بمكافحة التجسس، وتركز عمله على الشرق الأوسط حتى جندته المخابرات الإسرائيلية فى أغسطس ١٩٨٣، بعد شهر واحد من توقيع الاتفاق الإسرائيلى الأمريكى، الذى يقضى بعدم القيام بعمليات تجسس ضد بعضها ما البعض.

ومن أهم ما حصلت عليه إسرائيل من عميلها بولارد، شيفرة الأسطول السادس الأمريكى فى البحر المتوسط، وكذلك أسرار أجهزة التوقيت فى الأسلحة النووية، وأيضاً التقنيات الأسلحة المباعة إلى السعودية.

كذلك المعلومات الخاصة بالتجسس على إسرائيل التى تقوم بها أمريكا للتأكد من أن تل أبيب لا تقامر بمشاريع تتعارض ومصالحها فى المنطقة.

وعلى كل ـ فالتعاون الأمريكى الإسرائيلى فى مجال المعلومات خلال سنوات من التواطؤ السرى والاتفاقات السرية والتحولات

غير الدستورية التى تورط فيها كل رئيس أمريكى منذ ترومان[1] حتى الآن ـ أدى إلى إنبثاق أول دولة خارجة على القانون الدولى. دولة أصبحت تمتلك ترسانة هائلة من الأسلحة النووية ولم تنضم إلى أى اتفاقية دولية للحد من الانتشار النووى.

وبعد شهر واحد من فضيحة الجاسوس بولارد، استدعت الخارجية الأمريكية فى الثامن من يوليو ١٩٨٦ مائير روزين السفير الإسرائيلى بواشنطن، وأبلغته بفتح ملف التحقيق فى قضية القنابل العنقودية.

وتوجهت بالفعل عدة سيارات خاصة ، محملة برجال مصلحة الجمارك المسلحين إلى عدة شركات للصناعة والتسويق فى ولايتى أيوا وبنسلفانيا، وحملوا من هناك عدة صناديق مملوءة بالوثائق.

---

(١)-رئيس الولايات ت المتحدة ت الـ ٣٤ من سنة ١٩٤٥ إلى ١٩٥٣ (ولد١٨٨٤ ومات ١٩٧٢) .
- ضرب اليابان بالقنبلة الذرية فمات فى لحظة ما لا يقل عن ١٧٠ ألف نسمة
- فى عهده تم بناء حائط برلين يوم ٢٤ يونيو ١٩٤٨ الذى عمر ٤١ عاماً حتى هدم يوم ١٩ نوفمبر ١٩٨٩.
- فى عهده كانت بداية الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالى والشيوعى.
- شهد اندلاع الحرب الكورية فى يونيو ١٩٥٠ حتى يوليو ١٩٥٣ التى حصدت أرواح أربعة ملايين شخص.
- فى عهده قامت دولة إسرائيل التى اعترف بها بعد عشر دقائق من إعلانها، وكان هذا يتوافق ومزاجه الخاص ورغبته فى إنشاء دولة خاصة باليهود، وكان صديقاً حميماً لحاييم وايزمان أول رئيس لدولة إسرائيل.

وأوضحت الواشنطن بوست أن الخارجية الأمريكية كانت قد سحبت تراخيص تصدير معدات أمريكية تكنولوجية متقدمة لإسرائيل، تلقت بشأنها تقريراً يفيد بأنه يمكن استخدامها فى صنع القنبلة العنقودية.

اللدغة الإسرائيلية

كل هذه الاحتياطات جاءت بعد أن تمكنت إسرائيل بالفعل من إنتاج قنابلها العنقودية التى انفجرت قضيتها سنة ١٩٨٦ فى سلسلة فضائح عمليات التجسس الإسرائيلى داخل الولايات المتحدة الأمريكية.

وتتسم هذه القضية بطابع التحدى نظراً لأن سرقة التكنولوجيا الأمريكية اللازمة لصنع القنبلة العنقودية جاءت رداً على قرار اتخذه الرئيس ريجان بحظر إرسال هذه القنابل إلى إسرائيل سنة ١٩٨٢.

لقد سرق جواسيس الموساد الإسرائيلى مكونات صنع القنبلة العنقودية من شركات فيكتور وماريون بولاية أيوا التى تنتج آلات وأجهزة طبية، وببعض التعديل البسيط يمكن استخدامها فى صنع قنابل الشظايا المضادة للأفراد التى توجد داخل القنبلة العنقودية.

وهذه السرقات تندرج فى سلسلة السرقات الإسرائيلية للأسرار العسكرية الأمريكية.

ففى شهر أبريل ١٩٨٦ حدث أن السلطات الأمريكية فى جزيرة برمودا التى يطلق عليها جزيرة الشيطان، ألقت القبض على ثلاثة إسرائيليين ومعهم سبعة من جنسيات أخرى بتهمة التآمر للحصول على ما قيمته ألف مليون دولار من الأسلحة الأمريكية المتطورة للغاية لبيعها إلى طهران .

وهى العملية التى أطلقت عليها وسائل الإعلام الأمريكية اسم (اللدغة الإسرائيلية) ،وكان من بين المقبوض عليهم جنرال إسرائيلى متقاعد.

وكالعادة ، أنكرت إسرائيل علمها بنشاط هذه الشبكة لأن زعيمها إبراهام برعام قال إن وزارة الدفاع فى إسرائيل تعرف كل شئ عن الصفقة، ولديه الأدلة على أن الجهات فى إسرائيل كانت هى التى تقف وراء نشاطه وهدد بأن يتكلم ويكشف كل شئ.

تاريخ مشرف

وفى ديسمبر ١٩٨٦... أجرت السلطات الأمريكية تحقيقا حول محاولات البعثة العسكرية الإسرائيلية فى نيويورك، لسرقة تكنولوجيا تصفيح مواسير مدفع الدبابات بالنيكل كروم، وهى عملية من شأنها إطالة فترة عمل المدفع أثناء القتال.

وفى مايو ١٩٩٥ أدانت المحكمة رجل أعمال من ولاية كاليفورنيا بتهمة تهريب ٨١٠ أجهزة إليكترونية سرية لإسرائيل وشحنها بطريقة غير قانونية، وهى أجهزة تستخدم كأدوات إطلاق أو تفجير للأسلحة النووية، ادعت إسرائيل أنها لاستخدامات أجهزة الليزر والأسلحة التقليدية .

وحينما قررت فرنسا مقاطعة المشروع النووى الإسرائيلى، كان على الموساد أن تتحرك بسرعة للحصول على الكمية المطلوبة من أوكسيد اليورانيوم من أحد مصانع بروكسل.

وعهدت إلى دان آربيل - العميل الإسرائيلى - بعملية التغليف والتعبئة وتقديمه للمشترى المناسب هربرت شولتزن الشريك فى مصنع أسمار كيميكال فى مدينة فسبادن، وكان شولتزن ضمن مشروع الموساد لحل المشكلة.

وفى ٢١ مارس ١٩٦٨ ، اشترى ٢٠٠ طن يورانيوم بمبلغ ٨,٥ مليون

مارك، وأسست الموساد لهذا الغرض شركة نقل بحرية رأسها دان آربيل[1] .

وفى سبتمبر من نفس العام استبدلت الموساد إدارة الشركة برجالها الخصوصيين.

وفى نوفمبر غادرت السفينة البالغ طولها ٧٨ متراً والمسماة شيرزبيرج A بحمولتها قاصدة البندقية. وبعدها توقفت بالقرب من قبرص حيث أفرغت حمولتها المكونة من ٥٦٠ برميلاً من اليورانيوم فى إحدى السفن الإسرائيلية ، وجرى نقل البراميل بعد ذلك بالقاطرات من ميناء حيفا إلى مفاعل ديمونة النووى للإعداد لأول قنبلة[2] .

وفى أعياد الميلاد سنة ١٩٦٩ قام رجال الموساد بخطف خمسة لنشات صاروخية فرنسية وتم التحفظ عليها ثم أجرى شحنها بعد ذلك بمساعدة السفينة ذاتها ، شيرزبيرج A ، إلى حيفا، وكان ذلك فى فترة المقاطعة الفرنسية لإسرائيل فى مجال التسليح بعد العدوان على مصر فى ١٩٦٧.

---

(١) دان آربيل: عميل إسرائيلى مصاب بمرض الخوف من الأماكن المغلقة Claustrophobia، ألقى القبض عليه فى النرويج عام ١٩٧٣ فى عملية اغتيال الجرسون المغربى أحمد بوشيقى، وفى عام ١٩٦٨ اشترك فى عملية سرقة سفينة اليورانيوم من بلجيكا!

(٢) أطلق على هذه العملية اسم: عملية بلومبات The Plumbat affair وهو اسم شفرى لا معنى له.

صراع على الهيمنة

وبعد هذا العرض لقضية تجسس إسرائيل على أمريكا والدول الكبرى لأجل مصالحها وتطورها ،فى بقعة تقع على خريطة دول غارقة فى قاع التخاذل والسلبية.

علينا أن نتساءل :

ـ ماذا يهم العرب فى قضية جوناثان بولارد والتجسس الإسرائيلي على أمريكا؟

والإجابة طويلة .

ولكن سنحاول فى إيجاز شديد أن نبين أن قضية بولارد قد ألحقت أضراراً فادحة بالعرب وبالأمن العربى كله، نتيجة حصول إسرائيل على الوثائق والمعلومات السرية التى لدى أمريكا عن عدد من الدول العربية.

وكذلك فالولايات المتحدة الأمريكية كدولة تتمتع بإمكانات وقدرات متطورة للغاية ،تتجسس على العرب من موقع اهتماماتها بمنطقة الشرق الأوسط ، وتحصل إسرائيل على ثمرة هذا التجسس بشكل تعاون الموساد مع الـ C.I.A، أو بطريق

التجسس بواسطة العملاء أمثال بولارد.

إن قضية بولارد قد اضطرت بلادا عربية عديدة إلى إحداث تغييرات فى بعض خططها وخرائطها واستعداداتها العسكرية. فالخسائر طالت العرب الذين صاروا طرفا فى الصراع بين أجهزة المخابرات الدولية.

وقد اعترف بولارد أنه عمل جاسوسا لإسرائيل لأن أمريكا كانت تحجب المعلومات الأساسية عنها.

واعترف أيضاً بأنه كان (عين وأذن إسرائيل) فى منطقة جغرافية شاسعة تمتد من المحيط الأطلسى إلى المحيط الهندى، بما فيها منطقة الشرق الأوسط.

وأكدت مصادر التحقيق الأمريكية بما لا يدع مجالاً للشك، انه زودإسرائيل بأكثر من ألف وثيقة سرية يتعلق معظمها بالدول العربية، وهناك بعض الوثائق قد تتألف من مئات الصفحات وتتضمن معلومات سرية عن منطقة الشرق الأوسط.

وأهم هذه الوثائق على الإطلاق ، صور دقيقة عن مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية فى منطقة الشط بتونس، ولعدد من المبانى التى يسكنها مسئولون فلسطينيون. ولولا هذه

المعلومات ما استطاعت إسرائيل أن تقوم بعدوانها على مقر المنظمة فى تونس فى الأول من أكتوبر ١٩٨٥ ، والذى أسفر عن استشهاد نحو مائة شخص.

كذلك كانت هناك أيضاً صور دقيقة التقطتها الأقمار الصناعية أو التجسسية الأمريكية لمنشآت هامة فى مصر والسعودية وسوريا، ووثائق عن خطط التسليح لعدد من الدول العربية.

أيضاً ، سرب بولارد وثائق وتقارير سرية عن نشاطات منظمة التحرير، وعن شحنات الأسلحة السوفييتية إلى عدة دول عربية والنشاطات والخطط السوفييتية فى المنطقة، وكذا سير العمليات على الجبهة الإيرانية العراقية.

لقد اشترت إسرائيل هذه المعلومات التى قدرها وزير الدفاع الأمريكى ببلايين الدولارات بمبلغ ٥٠ ألف دولار فقط، واعتبر جوناثان بولارد من أكبر وأخطر الجواسيس الذين عملوا لصالح الاستخبارات الإسرائيلية منذ قيام دولة إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى اليوم.

لقد رفع وزير الدفاع الأمريكى كاسبر واينبرجر مذكرة إلى

قاضى التحقيق فى جهاز المخابرات يقول فيها :

ـ (إن من الصعب ان نتصور ضرراً أكبر من الضرر الذى سببه بولارد للأمن القومى الأمريكى. إنه تسبب فى خسائر بمليارات الدولارات).

وبرغم ذلك قال واينبرجر :

ـ (إن قضية بولارد لن تؤثر على العلاقات الوثيقة بين واشنطن وتل أبيب) !! .

إنه الصراع المشترك من اجل الهيمنة على شعوب الشرق الأوسط .

صراع المخابرات من أجل النفوذ والقوة ..!!!

وبتفصيل أشمل نعود إلى بولارد وزوجته المخلصة له « آن » ، التى ساندته وآزرته ورفضت التخلى عنه لحظة واحدة.

ســرى جـداً وخطـير للـغاية .!

يمكننا أن نتبين نمط تجسس إسرائيل على الولايات المتحدة إذا ألقينا نظرة على حالات مختارة من هذا التجسس يعود تاريخها إلى إنشاء إسرائيل.

وملحق بالتقرير صور لقصاصة صحفية لـ تقرير (ذى كريستيان سينس مونتير The Christian Science Monitor) .

والرائع فى التقرير أنه «عاجل» بناء على طلب جورج بوش شخصياً من المخابرات، لفتح وبحث الملف المخابراتى الإسرائيلى بعد شهر فقط من حادث ١١ سبتمبر.

فماذا وجد بوش[١] ؟!!

وماذا قرر؟!!

يقول التقرير:

«تقرير مخابراتى .. عاجل وخطير»

إلى: السيد الرئيس.

بتاريخ : ١١ أكتوبر ٢٠٠١

---

(١) جورج بوش (الأب) عندما كان رئيسا للـ C.I.A قبل أن يصبح رئيسا لأمريكا .

فى الأربعينيات :

إن أول ملحق عسكرى أرسل إلى واشنطن فى يونيو ١٩٤٨ هو إفرايم بن أرتزى. وهو الذى قام بتشكيل مجلس يضم أربعة أشخاص للتجسس على الولايات المتحدة.

أما الأربعة الذين يضمهم التنظيم السرى فهم بن أرتزى نفسه، وعضو فى الوفد الإسرائيلى إلى هيئة الأمم بنيويورك، وعميل مخابرات محترف كان ينتقل بين إسرائيل والولايات المتحدة، ومحام أميركى بنيويورك.

وكان بين المشاريع الأولى التى قام بها المجلس إنشاء مركز فى نيويورك لتدريب العملاء المجندين على أساليب التجسس، كالمراقبة الإلكترونية فى الشوارع ، واستخدام الحبر السرى، واستخدام الشيفرة فى المراسلات، ووضع آلات التنصت فى الفنادق التى تنزل فيها الوفود العربية إلى هيئة الأمم ، والسيارات التى يتنقلون فيها.

لكنهم منذ البداية أيضاً استهدفوا التجسس على مصالح حيوية أمريكية .وربما كان ذلك يشمل الحصول على نموذج أولى لرادار أميركى صغير متحرك للإنذار المبكر، وشحنه إلى

تشيكوسلوفاكيا مقابل أسلحة تشيكوسلوفاكية للهاجاناه[1] فى فلسطين.

فى الخمسينيات :

فى عام ١٩٥٦ اتصل مسؤول إسرائيلى كبير اسمه أيزنشتاد بمسؤول فى السفارة الأمريكية اسمه ايرل آى . جنسن، وعرض عليه مبلغاً من المال مقابل الحصول له على معلومات سرية ووثائق.

فتظاهر جنسن بالقبول بعد مساومات لزيادة المقابل المادى المعروض، وقام بإشراف مكتب التحقيقات الفدرالى بتسليم مواد مختارة لعميلين إسرائيليين وهما أبرامسكى ونيفوث (والاسمان مأخوذان من وثيقة سمحت وزارة الخارجية بالاطلاع عليها ولم يرد فيها الاسم الأول لكل منهما).

وعندما نُقل جنسن إلى واشنطن تبعه العميلان الاسرائيليان لمواصلة عملهما .

---

(١) وحدة كوماندوز يهودية تشكلت فى فلسطين عام ١٩٤٠، وكان معظم أفرادها ينتمون إلى وحدة خاصة بهم تدعى «البالماخ » أو جماعات الضرب بالعربية. وسرعان ما بدأ اليهود تنظيماتهم لسرية الخاصة كالمعتاد، لتتحول الهجاناه إلى جيش سرى له فرع مخابراتى يدعى «شاى »» وبعد إعلان قيام دولة إسرائيل تكون من الهاجاناه نواة جيش الدفاع الإسرائيلى بشتى فروعه.

ولــمّا لم يكــن الإســرائيليون إذ ذاك يتمتعــون بالحصــانة الدبلوماسـية، فقـد اتفقـت وزارة الخارجيـة ووزارة العـدل كتابـة على تقديمهما للمحاكمـة بموجـب قـانون وكالـة تسـجيل الأجانـب والقوانين المتعلقة بأعمال التجسس.

لكن لأسباب غير معلومة لم يُعتقلا، ولم يقدّما إلى المحاكمة.

جواسيس رسميون

فى الستينيات :

فى أواسط الستينيات قام مكتب التحقيقات الفـدرالى بالتوسـع فى التحقيق الذى كان يقـوم بـه إذ ذاك مـع لجنـة الطاقـة الذريـة، حول احتمال قيام مؤسسة المواد والطاقة الذرية (NUMEC) فـى بلدة (أبولو) بولايـة (بنسلفانيا) ، بتحويـل اليورانيـوم المصنع لإسرائيل.

وكان مكتب التحقيقـات حريصـاً بالدرجـة الأولى علـى صيانـة الوثائق السرية المتعلقة بتقنية الأسلحة المخزونة فـى أبولـو. علـى أن بعـض الـزوار الإسـرائيليين وبيـنهم رافائيـل إيتـان تمكنـوا مـن الوصول إلى تلك الوثائق.

وكان إيتان[1] معروفا عندئذ بعلاقته بالمخابرات الإسرائيلية. وهو نفس الشخص الذى كشف تورطه فيما بعد فى قضية الجاسوس بولارد.

وفى عام ١٩٦٩، وبناء على توصيات مكتب التحقيقات الفدرالى «F.B.I» تمّ إلغاء عقد مؤسسة المواد والطاقة الذرية، كذلك سحب التصريح بإيداع الوثائق المتعلقة بالأسلحة فيها، مع عدم السماح للدكتور زالمان شابيرو، رئيس المؤسسة ،« وهو يهودى» بالاطلاع على الوثائق.

فى السبعينيات:

ربما كان الكولونيل يوسف لانجوتسكى أشد الجواسيس الذين أرسلتهم إسرائيل إلى الولايات المتحدة إزعاجا ومثابرة. وقد تنبّه له مكتب التحقيقات الفدرالى بعد وقت قصير من تعيينه فى أواسط سنة ١٩٧٦ مساعداً للملحق العسكرى فى السفارة الإسرائيلية بواشنطن.

وقد تمكّن الكولونيل لانجوتسكى من اختراق المناطق الحساسة

(١) رافائيل إيتان :إرهابى ودموى إسرائيلى ، عمل كرئيس للعمليات الخارجية فى الموساد ، واشترك فى عملية اغتيال الزعماء الفلسطينيين الثلاثة فى بيروت ، وعملية اغتيال الجرسون المغربى فى (ليليهامر) بالنرويج ، وعملية اغتيال أبو جهاد فى تونس ، والعديد من العمليات الإرهابية الأخرى .

المغلقة بوزارة الدفاع الأمريكية« البنتاجون» مرات عديدة. وحاول بطرق غير لائقة تجنيد موظفين بوزارة الدفاع للتجسس لصالح إسرائيل.

وبعد أن أنذرت الوزارة السفارة الإسرائيلية عدة مرات رفضت أن تتعاون معه بأى وجه ومنعته من الاتصال بها. وفى أوائل عام ١٩٧٩ استدعته الحكومة الإسرائيلية.

فى الثمانينيات:

فى عام ١٩٨٣ قام مكتب الأمن لوكالة المخابرات بوزارة الدفاع الأمريكية «البنتاجون» بتفتيش مكان عمل وبيت أستاذ أمريكى فى أكاديمية وزارة الدفاع للتجسس.

وكان عدد من زملائه قد رفعوا تقاريرا حول علاقاته المشبوهة بمسؤولين إسرائيليين عسكريين يعملون بالمخابرات. ولم يعثر مكتب الأمن على أية وثائق سرية مسروقة خلال التفتيش ،لكنه عثر على مئات الكتب الممزقة التى كانت قد سُحبت بالاحتيال والتزوير من مكتبة الكلية وشُوّهت.

وعلى أثر ذلك قامت وزارة الدفاع بإحالة القضية على النيابة العامة.

وأخيراً جرت تسوية الأمر مع الأستاذ، فاعترف فى نوفمبر ١٩٨٣ أمام محكمة المنطقة فى (الإسكندرية) بولاية فرجينيا بأنه مذنب بالاعتداء على ممتلكات الدولة، فأصدرت المحكمة حكماً بإدانته وحكمت عليه بدفع غرامة.

ولكن بدلاً من سجنه حكمت عليه بالقيام بأعمال لخدمة المجتمع خلال مدة معيّنة.

وشملت التسوية أيضاً وجوب استقالته فوراً من منصبه كموظف مدنى فى أكاديمية المخابرات التابعة لوزارة الدفاع ، والتى تدير الكلية وتشرف عليها. لكن لم تناقش المحكمة أى جانب أمنى من جوانب القضية.

هذا بالرغم أن بعض المسؤولين فى الأكاديمية صرّح بأن التحقيق كشف عن اختفاء بعض المواد السرية من مكتبة الكلية. وشغل هذا الأستاذ بعد ذلك منصب مدير دراسات الشرق الأوسط بإحدى جامعات واشنطن.

قصة جاسوس

وتحت عنوان: «الضرر الذى سبّبه الجواسيس الإسرائيليين الأصدقاء» يقول التقرير:

كان اعتقال جوناثان بولارد وإدانته «بالتآمر للقيام بأعمال التجسس» لإسرائيل على الولايات المتحدة حدثاً مشحوناً بالعاطفة والمرارة فى كلا البلدين.

وحتى عندما تمّ الحكم عليه بالسجن مدى الحياة فى مارس من سنة ١٩٨٧ فإن العواطف لم تهدأ. صحيح أنه غاب عن الأنظار منذ ذلك الحين، لكن القضايا التى أثيرت بسبب تجسسه لا تزال تتفاعل.

لقد ساء العديد من الإسرائيليين قيام حكومتهم بتزويد المحققين الأمريكيين ببعض الأدلة التى أقنعت بولارد بأن يعترف بأنه مذنب.

وفى الوقت ذاته شعر العديد من اليهود الأمريكيين أن الحكومة الإسرائيلية قد خيّبت أملهم فيها عندما أدين مسؤول إسرائيلى خلال الأشهر التالية بسبب تورطه فى المؤامرة، وأعلن

أن أربعة مسؤولين آخرين شاركوا فيها، ونشرت بعض التقارير عن ضلوع مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلى فيها.

واستكمالاً لقصة بولارد.. ففى البداية حارت أجهزة الاستخبارات الأمريكية العسكرية منها والمدنية فى أمر اعتقال بولارد .

ولكن منذ اعتقاله اخذ يتزايد شعورها بالغضب على إسرائيل وعدم الثقة بها، وذلك لأن التحقيقات الداخلية لهذه الأجهزة كشفت عن حجم العملية، وعن عمليات إسرائيلية مشابهة للتجسس لم تكن معروفة ، ومدى الضرر البالغ الذى ألحقته الدولة العبرية بأمن أمريكا القومى.

وباختصار فإن قضية بولارد كانت ولا يزال لها تأثير سلبى قوى على العلاقات العملية بين هذين البلدين اللذين سبق لهما أن عقدا تحالفا أمنيا وثيقا.

ولا عجب إذن فى أن هناك محاولات جادة«لإعادة النظر» فى القضية، وكسب العطف والتأييد لبولارد وزوجته« آن» التى كانت قد اعترفت بأنها مذنبة فى حق بلدها وشعبها، ولكن باقترافها جرما أخف من جرم زوجها وهو «تسلم ممتلكات

حكومية» مسروقة والتستر عليها.

فتألفت لذلك هيئتان، إحداهما فى نيويورك والأخرى فى إسرائيل للعمل على إعادة الاعتبار للزوجين، وجمع المال اللازم لدفع أجور المحامين وغيرها من تكاليف الدفاع عنه على شاشات التلفزيون.

كما ألف والد «آن» ، برنارد هندرسون، كتاباً عنوانه «قصة جاسوس» بقصد التخفيف من شأن الجرائم التى اقترفت، مطالباً بإخلاء سبيل الزوجين لاعتبارات إنسانية.

وقام وولف بليتزر، مراسل «الجيروزاليم بوست» بواشنطن، بتأليف كتاب آخر عنوانه «ساحة الأكاذيب» للغرض نفسه. وتحت هذا العنوان يجد القارئ عنواناً أصغر يقول بأن المؤلف هو الوحيد الذى مُنح حق الاتصال بالزوجين.

والطريقة التى يستخدمها وولف بليتزر هى تمكين جوناثان بولارد من انتقاء بعض مقاطع الاتهام وتجاهل أو تحريف المقاطع الأخرى.

أكبر بكثير

كان الوتر الرئيسى الذى يضرب عليه الذين يطالبون بإعادة النظر فى القضية هو أن الوثائق السرية التى سرقها بولارد وباعها لوحدة مخابرات خاصة تابعة لوزارة الدفاع الإسرائيلية ذات أهمية أساسية لبقاء إسرائيل.

ويقول بليتزر بالاستناد إلى محامى بولارد :

- إن المواد المسروقة تحتوى على معلومات حيوية للغاية ، عمّا لدى الدول العربية من أنظمة أسلحة مختلفة وأجهزة مخابرات وقدرات عسكرية، كما تحتوى على تحليل لنوايا الزعماء العرب السياسية ،وعلى تفاصيل عن الأسلحة السوفييتية التى ستقدم لأعداء إسرائيل.

وفى فترة سابقة، جرت مقابلة مع والد جوناثان بولارد عُرضت على شاشة التلفزيون خلال برنامج محطة إى.بى.سى «E.B.C» المعروف باسم «نايتلاين» ، وقال خلالها بأنه يستطيع فهم شعور ابنه عندما علم بأن الولايات المتحدة لا تطلع إسرائيل على ما جمعته مخابراتها من معلومات عن «مصانع الغاز فى سوريا وعن الهجمات المنتظرة التى ستقوم بها منظمة التحرير

الفلسطينية من لبنان» .

فالمدافعون عن بولارد يحاولون أن يُظهروه فى صورة شاب يهودى أمريكى لامع ،تمزقه هواجس القلق على بقاء إسرائيل من ناحية، وواجبه بوصفه ضابط مخابرات أمريكى فى حفظ أسرار الأمن فى بلاده من جهة أخرى.

ولا تخلو هذه الصورة من شئ من المنطق وحتى من الحقيقة. ولكن ليس هذا هو السبب الذى حُكم من أجله بالسجن المؤبد على بولارد.

فالقضية أكبر بكثير.

ذلك أنه بعد اعتقال بولارد فى نوفمبر ١٩٨٥ بوقت قصير، تأكد لمحققى وزارة الدفاع الأمريكية«البنتاجون» ومكتب التحقيق الفدرالى «F.B.I» أن غالبية ما سرقه بولارد من وثائق لا علاقة لها البتة بمصالح الأمن الأساسية لإسرائيل.

وقد أقلق هذا الحكومة الأمريكية أكثر مما أقلقها ذلك العدد الهائل من الوثائق المسروقة التى تبلغ نحو ٨٥٠,٠٠٠ صفحة، أو حتى درجة السرية المصتفة تبعا لها. فأكثر من نصفها كان مصنفا بأنه سرى جداً من الدرجة الأولى.

فـى لائحـة الاتهـام

فالمشكلة التى واجهت المحققين كانـت فـى أساسـها تـتلخص فـى أنهمتأكدوا من خلال قوائم الأوامر المخبأة فى طاولـة بـولارد أنـه كان يعمل وفقاً لطلبات وإرشادات محدّدة .

أى أن العملاء الإسرائيليين كانوا قد توصلوا إلى معرفة الوثـائق التى يريدونها ، بالضبط ، بعناوينها وأرقامها. فتبـادر إلى أذهـانهم للوهلـة الأولى أن هنـاك عمـيلاً مجهـولاً كـان يوجّـه بـولارد نحـو الوثائق المطلوبة.

لكـن المحققـين تمكّنـوا باسـتخدام جهـازْ الكشـف عـن الكـذب «بوليجراف» Polygraph من حمل بـولارد علـى الاعـتراف بمـا شـك فيـه المسؤولون فـى وزارة الـدفاع منـذ البدايـة، فقـال بـأن إحـدى الوثـائق الأولى التـى طلـب منـه أن يسـرقها هـى «الفهرسـت»، أو الدليل الضخم الرئيسى لمعرفـة الوثـائق العسكرية السـرية الـذى يتجدّد كل ثلاثة أشهر.

ففـى هـذا الـدليل السـرى جـداً توجـد قـوائم مفهرسـة بأسمـاء عشرات الآلاف مـن الوثـائق بالغـة الأهميـة، مـع نبـذة قصيـرة عـن

محتويات كل منها. وعليه فإنه لم يعد هناك مجال لافتراض وجود عميل مجهول.

وهكذا فإن ما حصل عليه الإسرائيليون منه كان بالضبط ما أرادوه.

فما الذى حصلوا عليه؟

جاءت الصدمة الأولى التى أصابت محققى مكتب التحقيق الفدرالى «F.B.I» عندما حللوا خمساً وعشرين وثيقة مسروقة وجدوها فى حقيبة كانت آن بولارد (زوجة بولارد) ، كانت قد أخرجتها من شقتهما بناء على تعليماته لها بعد أن قامت وزارة الدفاع بالتحقيق معه. وتبين أن عدداً كبيراً من هذه الوثائق من النوع السرى للغاية، وكلها تقريباً تتعلق بالقدرات والأسلحة الأمريكية المتطورة.

والسؤال الآن :

ـ لماذا كان الإسرائيليون يريدون هذه المعلومات؟

إن الإجابة على هذا السؤال كما يُفهم من كبار مسؤولى وزارة الدفاع ،والعاملين بمكافحة التجسس فى مكتب التحقيقات

الفيدرالى «F.B.I» ، الذين راجعوا التعليمات التى تلقّاها بولارد من العملاء وسجّلها ، لا تزال هدفاً رئيسياً للتحقيق .

وقد تبين من سجلات التعليمات هذه والسجلات التى على الكمبيوتر فى قسم المخابرات بوزارة الدفاع حيث تمكّن بولارد من الحصول على أكثر الوثائق المسروقة، أن أكثر الوثائق التى سلمها بولارد للإسرائيليين لا تتصل إطلاقاً بالشرق الأوسط، فهى تشتمل على تفاصيل متعلقة بالمخابرات والقدرات والاتصالات العسكرية الأمريكية والروسية.

كما تشتمل أيضاً حسب ما جاء فى لائحة الاتهام على تفصيلات دقيقة وسرية للغاية عن مواضع السفن ومحطات الطيران الأمريكية، وأساليب القتال، وطرق تدريب الجند فى الجيش الأمريكى.

ولم تكن هناك أهمية لأكثر هذه المعلومات إلاّ لدى بلد واحد وهو الاتحاد السوفييتى.

ماذا قدم بولارد لإسرائيل؟

وتزايد قلق الأمريكيين خلال التحقيق مع بولارد عندما كشف منشق سوفييتى كان قد هرب إلى الولايات المتحدة أن هناك بالإضافة إلى الجاسوسين السوفييتيين اللذين قبض عليهما فى إسرائيل وسُجنا وهما (شبتاى كلمانوفيتش وماركوس كلينبرج)، جاسوس ثالث بإسرائيل لم يُقبض عليه.

وأضاف أن هذا الجاسوس الثالث المجهول يحتل مركزاً مهماً فى وزارة الدفاع الإسرائيلية، وأنه لا يزال يزاول التجسس، بالإضافة إلى أنه من المحتمل أن تكون الأسرار التى أرسلها بولارد إلى إسرائيل قد وجدت طريقها إلى الاتحاد السوفييتى سواء أكان هذا هو الهدف أم لم يكن.

وهناك نغمة أخرى يضرب عليها المدافعون عن بولارد، وهى أن الحكم الذى صدر عليه كان قاسياً جداً؛ لأن الوثائق المسروقة بغض النظر عن حجمها وأهميتها، ارسلت إلى دولة حليفة كما انهم يشككون فى وقوع ضرر كبير نتيجة لذلك.

وتناسى هؤلاء أنه من المؤكد أن المذكرة التى أعدّها كاسبر واينبرجر وزير الدفاع الأمريكى، عن الضرر الذى ألحقه بولارد

بالولايات المتحدة وتقع فى ٤٦ صفحة، هى التى حملت القاضى أوبرى روبنسون على الحكم عليه بالسجن مدى الحياة.

وفى الأشهر التى أعقبت سجن بولارد.. حمل مناصروه على وزير الدفاع الأمريكي«واينبرجر» ، بسبب دوره فى إصدار الحكم.

وقد وصف المستر «درشوفيتز» مذكرة واينبرجر بأنها «مستنقع قذر» .

وقال أيضاً فى مقال صحفى:

ـ «إن وزارة الدفاع لا تستطيع أن تنتظر من الشعب الأمريكى بأن يقبل مبالغاتها المفضوحة على علاتها ، وخاصة عندما تضرب بالمنطق عرض الحائط» .

أما بليتزر فكان أكثر تحفظاً فى كتابه. إذ اعترف بأن جوناثان بولارد ألحق بالفعل ضرراً بليغاً بالأمن القومى الأمريكى، إلا أنه أضاف تحذيراً غريباً للقارئ عندما يقول بأنه تمّ احتواء قسم كبير من الضرر «بسبب فضح العملية» من جهة، وتعاون مسؤولى المخابرات الأمريكية والإسرائيلية ـ وإن لم يكن تعاونهم كاملاً ـ على إصلاح الضرر.

والملاحظ أن هناك أمرين يشترك فيهما جميع الذين دافعوا عن بولارد:

الأول: تفاؤلهم الذى لا مبرر له.

والثانى: إساءة فهم شديدة لضرورات أى جهاز أمنى.

فالمعلومات التى أرسلها بولارد للإسرائيليين شملت المواد التالية:

ـ معلومات عن الأنظمة الفنية للمخابرات والأخبار التى جُمعت بواسطتها.

ـ دراسات تحليلية مفصلة تشتمل على حسابات ورسوم بيانية وصور للأقمار الصناعية وأسماء الذين قاموا بها.

ـ معلومات عن أشخاص أغفلت أسماؤهم ولكن يمكن لمحلل قدير فى المخابرات أن يعرفها.

ـ ثلاث فئات من المراسلات اليومية طوال سبعة عشر شهراً.

أضرار تجسس بولارد

اعترف بولارد بأنه لم يقتطع أى جزء من الوثائق التى سلمها لعملاء إسرائيل.

والواقع أن الوثائق التى وُجدت فى شقته كانت كاملة. وكذلك كان الأمر بالنسبة للوثائق التى أعادها الإسرائيليون وعددها ١٦٣ وثيقة.

ومعنى هذا أن الوثائق اشتملت على جميع التفاصيل عن مصادر الأخبار وطرق جمعها.

وحتى لو أن جوناثان بولارد حاول أن يقتطع أجزاء من عشرات الوثائق التى سلمها لإسرائيل لما استطاع، وذلك لعدم قدرته على غربلة الوثائق بعضها دون البعض الآخر، خاصة وأنها تقع فى آلاف الصفحات وتتناول مئات الموضوعات.

ولنأخذ مثلاً على ذلك ، وهو الوثائق المسروقة التى تشتمل على صور عسكرية التقطتها الأقمار الصناعية الأمريكية. فلو نشرت صورة من تلك الصور فى مجلة عسكرية، فكلّ ما يمكن لأجهزة التجسس الأجنبية أن تستخلصه منها هو أن وكالة الأمن

القومى مهتمة بموضوع الصورة، بالإضافة إلى تكوين فكرة عن قوة الكاميرات المثبتة فى الأقمار الصناعية .

أما إذا استطاعت تلك الأجهزة الحصول على المعلومات الفنية التى يسجلها جهاز القياس فى القمر الصناعى، مثل موضع ذلك القمر الزمن وارتفاعه ، فعند وقوع هذه المعلومات فى يد أجنبية يتعيّن على وكالة الأمن القومي أن تقوم بعمليات باهظة التكاليف، وهى تغيير موضع القمر أو حتى مساره كله، وذلك لأن انكشاف المعلومات يحرم صاحبها من عنصر المفاجأة.

وهذا هو ما قصده واينبرجر عندما أشار إلى «ضياع مكاسب قومية استغرق الحصول عليه سنوات من الجهد المتواصل وتسخير الموارد الوطنية».

ولقد قامت ثلاث جهات منفصلة فى وزارة الدفاع بتخمين الأضرار الناجمة عن سرقة الوثائق، لكنها لم تستطع أو لم تشأ كشف مقدارها بالدولارات.

لكن كلا منها تحدثت عن «عدة بلايين من الدولارات» كتقدير إجمالى، وقالت بأن غالبية الأضرار الناجمة عن تجسس جوناثان بولارد لحقت بوكالة الأمن القومى.

هذا عدا شبكات التجسس التى انكشفت والمخاطر الشديدة التى يتعرض لها الجواسيس الذين كشف عن هوياتهم ومواضعهم ونشاطاتهم.

والواقع أنه لافرق بين وصول الوثائق إلى إسرائيل أو إلى بلد آخر كتشيكوسلوفاكيا .فلا يمكن لأى جهاز أمن قومى فى العصر الحديث أن يعرض حياة العديدين للخطر وأن يغامر ببلايين الدولارات فى عمليات لا يسيطر على سريتها. فمتى ذهبت السرية ذهب كل شئ.

وحتى لو افترضنا أن الجاسوس الإسرائيلى جوناثان بولارد بعث بالبريد نصف تلك الوثائق لمقر المخابرات الروسية (الكى . جى . بى)بموسكو، وأودع النصف الآخر لدى صديق له ، فإن ذلك لا يغيّر شيئا من قيمة الأضرار التى ألحقها بالأمن القومى.

وفى هذه الحالة سلمت المواد إلى دولة أجنبية كانت الولايات المتحدة تعتقد أن السوفييت تغلغلوا فى أجهزة مخابراتها .

وعندما سئل المدير السابق لوكالة الاستخبارات الأمريكية المركزية (C . I . A) ريتشارد هلمز ، عمّا إذا كان على الولايات المتحدة أن تفرق بين أولئك الذين يبيعون الأسرار «للأصدقاء»

وبين الذين يبيعونها «للأعداء» ، كان جوابه أنه لا فرق بين هؤلاء وأولئك «لسبب بسيط وهو أننا لا نعرف شيئا عن أجهزة الأمن فى تلك الدول» .

والواقع أن تعليق ريتشارد هلمز يؤكد على أمر هام آخر يتصل بالوثائق التى وصلت إلى إسرائيل عبر بولارد، وهو أن إسرائيل هى الدولة الوحيدة التى كان يمكن لها أن تستخدم ذلك القدر الكبير من الوثائق.

أنواع التجسس

كان رافائيل إيتان مدير الـ «ليكيم» (١٩٨١:١٩٨٦) أى الوحدة فى وزارة الدفاع التى أدارت عملية بولارد هو مستشار إسحاق شامير[١] وشيمون بيريز[٢] حول شؤون المخابرات ومكافحة الإرهاب.

ويذكر بليتزر فى كتابه أنه عندما تولى بيريز رئاسة الوزراء فى إسرائيل (أى بعد تجنيد بولارد لسرقة الوثائق بوقت قصير) «طلب من إيتان أن يتخلى عن مسؤوليته فى مكافحة الإرهاب» .

---

(١) إسحاق شامير : رئيس وزراء إسرائيل فى الفترة من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٥، ومن ١٩٨٧ إلى ١٩٩٢.
(٢) شيمون بيريز: رئيس وزراء إسرائيل خلفاً لشامير من عام ١٩٨٥ إلى ١٩٨٧، ومن ١٩٩٥ إلى ١٩٩٦ خلفا؟ لإسحاق رابين الذى اغتيل فى نوفمبر ١٩٩٥. وشيمون بيريز هو بطل مذبحة قانا التى وقعت فى لبنان.

لكن ما لم يذكره بليتزر هو أن رافائيل إيتان ظل يمارس عمله فى المخابرات العلمية «ليكيم» بمكتب رئيس الوزراء إلى أن تم القبض على بولارد.

لقد كان الجانب الأشد إحراجاً لإسرائيل فى قضية بولارد، والسبب الرئيسى الذى من أجله يرغب المتورطون مباشرة فيها ، أن يطلق سراحه وأن يتم إغلاق القضية نهائياً، هو الإطار السياسى الذى تمت فيه العملية.

إذ تخشى إسرائيل طرح المزيد من الأسئلة التى تكشف عن تورطها فى التجسس على الولايات المتحدة؟ وهل كان بولارد الوحيد الذى قبض عليه وهو يتجسس أم أنه كان الوحيد الذى قبض عليه وحوكم؟.

- الواقع أن بولارد لم يكن أول من فعل ذلك، كما أنه لم يكن أول جاسوس لإسرائيل يقبض عليه أو حتى يقبض عيه ويحاكم.

ويفرق بليتزر بين نوعين من التجسس:

أولهما: ما يسميّه بالتجسس الودى أو تجسس الأصدقاء. وثانيهما: هو التجسس الخسيس الذى يجند من أجله العملاء ويدفع المال لقاء الحصول على المعلومات.

ويـتـم الـنـوع الأول بوسـائل فنيـة مكشـوفة أو عـبر الملحقـين العسكرين بالسفارات وغيرها، وهذا ما يفعله الجميع.

ويضـيف بليتـزر أن الولايـات المتحـدة وإسـرائيل كانتـا منـذ عشرات السنين تلتزمـان باتفـاق يقضـى بعـدم ممارسـة إحـداهما النوع الثانى من التجسس ضد الأخرى.

شعبية بولارد

وبعد اعتقال بولارد بوقت قصير أصدر بيريـز رئيس الـوزراء بياناً يقول فيه:

ـ «إن التجسـس علـى الـولايات المتحـدة يتنـافى كلـيا مـع سياستنا» !!

لكـن مـن الواضـح أن مـا يقولـه غـير صـحيح. فالحكومـة الإسـرائيلية كانـت منـذ فـتح سـفارتها فـى واشـنطن عـام ١٩٤٨ تتجسس على واشنطن.

وبرغم وجود أدلة ثابتة على قيام إسرائيل بعمليات مشابهة لعمليـة بـولارد. لا نـدرى لمـاذا بقيـت تلـك العمليـات بعيـدة عـن الأضواء؟

أجـاب علـى هـذا السؤال مسؤول كـبير فـى مكتـب التحقيقـات

الفدرالى« F.B.I » فقال:

ـ «إن ٩٥٪ من تلك المعلومات لم تصل إلى المحاكم» .

وأضاف هذا المسؤول:

ـلقد قمت بنفسى بإعداد ملفين كاملين لعمليتين مشابهتين لعملية بولارد وذلك لإقامة دعوى مماثلة. لكن تم إسقاط الدعوى فى كلّ من الحالتين فى اللحظات الأخيرة.

هذا ومن المؤكد أن بولارد لم يكن اول جاسوس لإسرائيل فى أمريكا. ولن يكون آخر جاسوس. لكنه كان أكثر الجواسيس نشاطاً وفعالية.

ومهما يكن من أمر، فإننى أشعر أن كثرة من المسؤولين فى المؤسسة العسكرية الأمريكية وفى أجهزة المخابرات، سوف يسعدهم أن يطلق سراح بولارد وزوجته، وأن يسمح لهما بالذهاب إلى إسرائيل.

لكن هذا يتوقف على ما يمكن أن تحصل عليه الولايات المتحدة مقابل ذلك.فقد يحدث تبادل ثلاثى للجواسيس بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى، يشمل الجواسيس السوفييت فى سجون الإسرائيليين.

ويمكن القول بصورة عامة، أنه ليس هناك شعور بالنقمة على بولارد شخصياً فى واشنطن.

لكن من المؤكد أن أى جاسوس إسرائيلى آخر سينكشف أمره فى الولايات المتحدة، سيكون هناك شعور بالغضب تجاهه، حيث سيعامل كجاسوس.

زوجة مخلصة

وفى حوا ر تليفزيوني أجرته معها إحدى المحطات ا لامريكية قالت آن بولا رد :

....

• • إن حبي لزوجي لا يرقى إلية حب .. ولا يمكن تصنيفى على إ ننى امرأة خائنة لوطنى... ذلك لان خوفى على بولارد كان اكبر بكثير من أية اعتبارات أو مسميات .

....

• • نعم .. إن واجبى كزوجة هو أن أ قف إلى جوا ر زوجى ولا أتخلى عنه أبداً. وأية امرأة تحب زوجها ووضعت مكانى لتصرفت مثلى تماماً دون إبطاء .

....

• • لم أكن أعرف في البداية أنة يستولى على وثائق سرية

تتصل بأمن الولايات المتحدة وأسرارها الاستراتيجية .. وعندما اكتشفت ذلك استولى علىّ الخوف في البداية .. ثم وجدتى أفكر فى كيفية حماية زوجى ومؤازرته .. ومن ثم كنت أخفى الوثائق ولا أعرضه للقلق بشأنها.

....

• • نادمة .. ؟ نادمة على ماذا بالضبط ..؟ إنني كنت أقوم بواجبى كزوجة تحب رجلها وتقدره ، وتسعى لاسعاده وتوفير الحياة الأسرية الهادئة له . فهل أندم على كونى أيدت زوجى فيما يقوم به من أعمال ..؟ أم أندم على نذالتى فى حالة تنصلى من سلوكه ـ ولو كان شائنا ـ وحياتنا معا..؟

....

• • زوجى لم يخطئ في حق الولايات المتحدة ..بل إنه يستحق العفو الشامل لأنة كان مخلصا ومحبا للجميع.!

....

• • لا..لن نقيم في الولايات المتحدة بعدما يفرج عن بولارد.. وسنذهب على الفور إلى إسرائيل ، حيث نقضى بقية عمرنا هناك بين الأصدقاء الذين يحبوننا ، ويقدرون تضحياتنا في سبيل رفعة إسرائيل وتقدمها..!!

كتب صدرت للمؤلف عن دار أطلس

- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الأول : الخطف .
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثانى : الاغتيالات
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثالث : الفضائح .
- رصاصة الرحمة .. اللحظات الأخيرة فى حياة الجواسيس .
- قصتى مع الموساد .. مذكرات جاسوس الإسكندرية .
- الملازم أول دينا عمر .. جندها زوجها فجندت أولادها الثلاثة .
- البكاء الصامت : دراسة سيكولوجية عن دموع العظماء .
- جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ (سلسلة من ٢٠ جزء) .



تتشرف أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى بتلقى أى
أراء أو تعليقات على الكتاب سواء للدار أو للكاتب على :

تليفون : ٣٤٦٥٨٥٠ - ٣٠٢٧٩٦٥ (٢٠٢) فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

E-mail: atlas@innovations-co.com